

## مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فإن موضوع (بر الوالدين) لمن أهم الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إليها بحيث نحتاج إليها في كل زمان ومكان لا سيما في عصرنا الحاضر، حيث استغل بعض الناس وجود الوالدين وخدمتهم في حال ضعفهم وشيخوختهم، لإعراضهم عن كتاب الله تعالى، رغم اعتناء القرآن الكريم بحقوقهم أشد اعتناء، ويكفي هذا الواجب عظمة ومكانة كونه ذكر في آيات كثيرة وفي أساليب مختلفة، وتوجيه التوجيه للأبناء بصفة مباشرة، وكل آية منها لها مدلول خاص ومعنى يختلف عن الأخرى، ولكن نظرا لانصراف الناس إلى المادة ولطغيانها عليهم لما لها من أثر سيء على النفوس حيث إنها تنسى الواجبات والحقوق والفضائل، وتنسى أوامر الله تعالى ونواهيه، كما يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا في زمن لا يعرف أحد منا فضل درهم على أخيه، ونحن في زمان الدرهم أعز من أخيه وأبيه»<sup>(١)</sup>، فأدى بهم الأمر إلى أن أعرضوا عن آبائهم ووضعهم في الأماكن المخصصة لإيواء العجزة والضعفاء والمنقطعين وكبار السن ويكتفي أحدهم بزيارتهم في المناسبات فقط، أو الاقتصار على إرسال الهدايا أو الرسائل إليهم ولا يكلف نفسه مشقة زيارتهما ورؤيتهما، وهذا حال كثير من الناس في العصر الحاضر، لا سيما في بعض المجتمعات الكافرة التي أنشأت مدنا فاضلة متقدمة محتوية على أكثر عناصر حياة الرفاهية والرقي، أما حظ كبار السن منها فكان الفناء من هذه المدن، لأنهم في نظرهم يشكلون عبأ

(١) مسند أحمد ٢/٨٤.

عليهم وعالة على المجتمع، فلا شك أن هذا مناف تماما لروح الإنسانية فضلا عن المروءة والضمير والإسلام.

أين هذه الهمجية والوحشية مما قرره الإسلام على لسان نبي الرحمة ومعلم الإنسانية ﷺ بقوله: «هل تنصرون إلا بضعفائكم»<sup>(١)</sup> ويقوله ﷺ: «أبغوي الضفعاء، فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم»<sup>(٢)</sup> ويقوله ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»<sup>(٣)</sup> لا ريب إنما الرحمة التي تتطلع إليها الإنسانية أجمع.

إن الآيات القرآنية الكريمة تلزم الإنسان وخاصة المسلم بخدمة الوالدين والبر والإحسان إليهما في كل الأحوال ومن كل الوجوه، ويركز بشكل خاص في حال كبر السن وضعف الشيخوخة.

ومع هذا كله فإنه قد وجد في الناس من يتغافل عن هذا الواجب العيني، ولكي نتنبه من الغفلة ونتذكر حقوق الوالدين، فإن لهذا الموضوع أهمية كبرى وحاجة ملحة.

#### ● خطة البحث:

اشتمل البحث على: مقدمة، تمهيد، وستة فصول، وثمانية مباحث. المقدمة وفيها: نبذة عن الموضوع، خطة البحث، موضوع البحث، منهجي في عرض الموضوع، أهمية البحث، أهداف البحث، الأهداف التربوية في الموضوع، عوامل غرس البر في القلوب

(١) صحيح البخاري ٨٨/٦.

(٢) سنن أبي داود ٣٢/٣، سنن النسائي ٤٥/٦، سنن الترمذي ٣٥٧/٥.

(٣) سنن النسائي ٤٥/٦.

الفصل الأول: في بر الوالدين؛ ويشتمل على ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: تعريف البر.

المبحث الثاني: عناية القرآن الكريم بالوالدين.

المبحث الثالث: موجبات بر الوالدين.

الفصل الثاني: أساليب القرآن الكريم في الحث على بر الوالدين؛ ويشتمل

على: الإحسان إلى الوالدين، أسلوب الميثاق المؤكد باليمين، أسلوب الاقتداء والتأسي، أسلوب المدح، بيان إكرام الفروع لصالح الأصول، أسلوب الوصية.

الفصل الثالث: حقوق الوالدين؛ الإحسان، الكلمة الطيبة وحسن

المعاملة، التواضع ولين الجانب، طاعتها في غير معصية الله، الدعاء لهما.

الفصل الرابع: عرض وتحليل لبعض نصوص القرآن الكريم في بر الوالدين.

الفصل الخامس: التحذير من عقوق الوالدين.

الفصل السادس: صور من بر وإحسان السلف.

خاتمة وفيها بيان أهم الاستنباطات، الفهارس والمراجع.

#### • موضوع البحث:

دراسة الآيات التي تحدثت عن موضوع بر الوالدين في القرآن الكريم، من حيث أهميته وضرورة دراسته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظيم حق الوالدين وما يجب عليه تجاههما فيجعل ذلك نصب عينيه ويلتزمه في كل شئون حياته العلمية والعملية، حتى يكونان مصدر سعادته فيفوز بسعادة الدارين بإرضائهما.

#### • منهجي في عرض الموضوع

أما منهجي في عرض الموضوع، فإني قد تناولت هذا الموضوع القيم

المبارك بذكر الآيات التي تناولت بر الوالدين وتفسيرها تفسيراً موضوعياً وما يتعلق بها، مع بيان ما تناولته الآيات من إرشادات وتوجيهات ربانية كريمة تجاه هذا الموضوع، وذكرت لها شواهد من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن سيرة الحبيب المصطفى ﷺ ومن سيرة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وبينت ما في الآيات من الفوائد والأحكام.

#### • أهمية البحث

تظهر أهمية البحث وثمرته من حيث استمداده وموضوعه ومنهجه، ومن حيث تطبيقه وصلته بالمجتمع وحاجته إليه ومدى تحقيقه للأهداف والنتائج والغايات المرجوة من ورائه، وإن موضوع «بر الوالدين في القرآن الكريم» من أهم الموضوعات الاجتماعية التي نحن في أمس الحاجة إليها، لا سيما في زمن فسد فيه أحوال كثير من الناس وانحرفت أفكارهم حيث خرجوا على حكم الله وأهملوا أمره، فانتشر العقوق وعم كثير من الناس على مستوى الأفراد والجماعات، وهذا أمر ينذر بالخطر ويؤذن بالهلاك.

#### • أهداف البحث

ويمكن تلخيص أهداف هذه الدراسة في النقاط التالية:

١- تحقيق مبدأ النصيحة التي يقوم عليها أساس جلب الخير ودفع الشر عن البشر، والتواصي بالحق وبالصبر امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر) ولقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قال الصحابة رضوان الله عليهم: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح مسلم ٧٤/١.

جمع ما يتعلق من الآيات بموضوع البحث، ثم البحث والنظر فيها من زاوية قرآنية محددة، ثم دراستها دراسة موضوعية وافية منحصرة على ما يتعلق بالموضوع شاملة لجوانبه من حيث بيان ما يتعلق بموضوع (بر الوالدين في القرآن الكريم) وضرورته، ومن حيث منهج الآيات في عرض الموضوع، دراسة موضوعية على نمط يغير نمط الموضوعات العامة، مع توخي القصد، ثم تفسير الآيات تفسيراً موضوعياً من كتب التفسير بالرواية والدراية، ثم من كتب السنة على أساس وحدة واحدة مترابطة.

تأصيل البحث بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة ومن واقع منهج السلف. إخراج هذا الموضوع - الذي لم يسبق أن كتب فيه حسب علمي - بمنهج التفسير الموضوعي مع ما جاء في السنة وفي أقوال السلف، بأسلوب سهل ميسر، وإيصاله إلى مسامع الناس بوضوح تام ليسهل عليهم فهمه وإدراكه ثم السير على فحجه حبا وكرامة رغبة واندفاعا لتحقيق السعادة لأنفسهم وللوالدين<sup>(١)</sup>.

بيان أهمية الموضوع وخطره لصلته بالمجتمعات الإنسانية بشكل كبير.

الأهداف التربوية في موضوع بر الوالدين

إن قضية التربية قضية حساسة وفي بالغ الخطورة؛ فهي تحدد مصير الإنسان في دنياه قبل آخرته ويتوقف عليها إما سعادة أبدية أو شقاوة أبدية، قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْنَةِ وَيُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْنَةِ﴾ (الأنفال ٤٢). وقال تعالى:

(١) هناك كتب ومؤلفات كثيرة في موضوع بر الوالدين سواء مستقلة في موضوعها أو ضمن موضوعات أخرى، غير أن غالبها يقتصر على ذكر ما جاء في السنة وفي أقوال السلف دون الالتزام بالموضوعية.

﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ (التوبة ١١٥).

ومن ثم جدير بنا أن نعطي لمحة عن مثل هذا الموضوع لكي نقدم للأمة ما هي في أمس الحاجة إليه، لا سيما في مثل هذه الظروف الحرجة التي تحيط بالأمة الإسلامية بل البشرية عامة حيث تشكوا حاجتها الماسة إلى تربية يتكون منها فرد صالح، بعد أن جربت جميع المناهج الأرضية وأدركت فشلها في إيجاد الفرد الصالح الذي يتكون منه مجتمع وأمة صالحة.

كما أنها الأساس واللبنة الأولى إلى التقدم والرقي في شتى المجالات، والمعيار الذي به توزن أفكار الأمم ومواهبها ويعرف رقي الشعوب من انحطاطها وتقدمها من تأخرها وإن اختلفت أنظار الأمم في مدلولها.

ولقد ارتفعت في عصرنا الحاضر أعلام التربية واكتسى عنوانها ثوب البهرجة والتزويق معني ومفهوما حتى تجاوز حده ونادى المفكرون مكرسين جهودهم على تحقيق مفهوم التربية وانصبت جهود كبيرة على مستوى الدول على تحقيق هذا الهدف حسب المفاهيم والاتجاهات، وتبع ذلك بناء صروح شامخة وخصصت لها ميزانية ضخمة تتولى العناية بها، فأصبحت التربية حديث الساعة والشغل الشاغل للمجتمعات البشرية

إلا أنه اختلفت أنظار المربين وتباينت أفكارهم في تحديد معنى ومفهوم التربية ثم اختيار مورد ومصدر التربية الذي يحقق هذا الغرض النبيل تبعاً لمعتقداتها ومبادئها.

فالذين ينادون بالتربية المجردة عن تعاليم القرآن الكريم قد جانبوا الحقائق وضل سبيلهم عن إصابة الهدف، فمنهم من تقمص بمبادئ الغرب وعض عليها بالتواجد، ومنهم من التحف برداء الأوروبيين واختبأ تحت أجنحتهم متأثراً بأفكارهم الفارغة وآرائهم السقيمة وبتجارب ونظريات قدامائهم الذين ضل

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ (يونس ٣٦). ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ (يونس ٦٠).. فهيهات هيهات.

وآخرون وهم جيل القرآن الكريم اتخذوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ طريقا وسراجا منيرا تربوية وسلوكا، لم يعرفوا أي فلسفة أو نظرية أو تجربة تربوية بالرغم من ذلك كله سادوا العالم قيادة ومنهجيا فأصابوا الهدف، فأصبحوا بذلك على تباين كبير في تحديد معنى التربية ومفهومها وحقائقها ومصادرها.

ولو استعرضنا تاريخ المجتمعات منذ فجر الإسلام لوجدنا أنه لم تتشرف الدنيا ولم تسعد الأرض بل لم تكتحل العين بمجتمع مثل عصر صحابة رسول الله ﷺ ذلك المجتمع الفذ الفريد من نوعه وما ذاك إلا بفضل التربية المحمدية التي أشاد القرآن الكريم بفضلها: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ (الشورى ٥٢، ٥٣).

لقد تربي هذا المجتمع على كتاب الله وكتاب الله له مكانة في نفوس المؤمنين وهذه المكانة ليست لأي كتاب آخر على الإطلاق، كما أن له تأثيراً مباشراً في القلوب في إعداد الفرد الصالح، فهو يأخذ هذا الإنسان بكامله بجسمه وروحه وعقله، فينفذ إليه من جميع منافذه ويربيه تربية عامة شاملة، ثم يسايره في جميع أحواله وظروفه المختلفة حتى يجعله يمشي على هذه الأرض بجسمه وهو متوجه إلى السماء بروحه، ليتلقى تعاليمه من لدن حكيم عليم وليتخرج في المنهج الإسلامي.

إذا التربية الإسلامية حقيقة توقيفية لا تقبل الاجتهادات الإنسانية ولا الخيالات البشرية، رسمها وخطها الشارع الحكيم، لأنه أدري بحال الناس من الناس، قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (النجم ٣٢).

ونظراً لذلك فإن أولي الأحلام والنهي والصلاح ينظرون إليها في كل الأحوال من خلال نافذة شرع الله ويضبطونها بضابط شرع الله ومن منظور المنطق والقيم السليمة السامية، لا سيما بعد أن جربت الإنسانية جميع المناهج الأرضية فأدركت فشلها في إيجاد الفرد الصالح الذي يتكون منه المجتمع الصالح والأمة الصالحة، ولو اجتمع أهل الأرض على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم مبدأً ومنتهاً منهجاً وسلوكاً لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وصدق الله حيث يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء ٩). وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيمًا لِيَنْذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِنَ لَدُنْهِ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف ١، ٢).

فهو فريد في منهجه وأسلوبه وتربيته يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح في شتى المجالات، بينما المناهج الأخرى تهدف إلى تكوين المواطن الصالح لبلده ومجتمعه فحسب، وتكوين الإنسان الصالح أدق وأشمل وأعمق من إعداد المواطن الصالح، لأن المواطن الصالح هو ذلك الإنسان المقيد بالأرض بل بقطعة منها لا يصلح لغيرها، وإن علما ما إذا لم يكن له نصيب في توجيه الأمة توجيهها شاملاً فلا خير فيه البتة.

ولقد حرص عليه القرآن الكريم والسنة أشد حرص في تربية الإنسانية بشتى الوسائل وفي مختلف الحقول والمواقف لإقامة صلوات وثيقة وروابط إنسانية



متينة، لتعمق أواصر المحبة والوثام فيسودها التفاني والإيثار فيوفي كل ذي حق حقه.

فكان من فضل هذه التربية أن نشأ المجتمع الإسلامي منذ البداية على البر والإحسان، فلم يغب فكره وقلبه لحظة من مراقبة الله في مثل هذا الواجب، وهذه العناية القرآنية والتربية المحمدية إنما جاءت لتقييم الإنسان في هذه الحياة وتشعره بأن مبدأ الإحسان حق ثابت لأصحابه، كما أن الشكر حق واجب لأصحاب الفضل والنعم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن ٦٠)

وأشارت السنة أيضا إلى هذا في قوله ﷺ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر» وفي رواية: «من أبلى بلاء فذكره فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»<sup>(١)</sup>.

فإذا تواصى به المسلمون وأيقظوا في نفوسهم الشعور الدائم بعظيم مكانة بر الوالدين والإحسان إليهما وتضافرت الجهود على سد كل طريق يؤدي إلى العقوق، وحمل كل رجل ومعلم على عاتقه تعليم من يقع تحت مسئوليته في ترسيخ هذا الواجب وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد فلقنوها الأطفال منذ الصبا ليتأصل فيهم ولتكون ركيزة في نفوسهم يشبوا عليها، وعقيدة راسخة في قلوبهم لا يضلون ولا ينحرفون عنها، ويجعلوها نصب أعينهم وهم عمرهم وقد أخذوها بتطبيقه قولاً وعملاً، فإذا ما تربي مجتمع على مثل ما تربي عليه أصحاب محمد ﷺ واستحكم فيه هذا المفهوم

(١) سنن أبي داود ٢٥٥/٤، سنن الترمذي وقال: حديث صحيح ٨٧/٦، ومسند أحمد ٢٧٨/٤.

السلام فإنهم بإذن الله سيحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (الأنبياء ٧٣).

فليحرص الأبناء أن يكونوا خير خلف لخير سلف، في بر الوالدين والإحسان إليهما، وليحققوا في أنفسهم قول الله تعالى عن العبد الصالح البار بوالديه: ﴿قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ (الأحقاف ١٥-١٦) وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ (العنكبوت ٩).

بهذه التربية القرآنية كان يربي النبي ﷺ أصحابه في كل شئون الحياة وهكذا كانت مدارسهم وهكذا كان لها الأثر الطيب في استقامة الأمة، ترى لو أخذ الخلف ببعض ما عني به السلف من التربية وقام كل مسئول على من استرعاه الله أمره وقامت المدارس والمعاهد والجامعات وقام المدرسون بتسمية مفهوم هذا الواجب وترديده في كل مناسبة صغيرة أو كبيرة منذ أول دخول الطفل مدرسته فإنه بإذن الله يصبح عقيدة راسخة.

وليحذروا كل الحذر من أن يكونوا أسوأ خلف لخير سلفهم الصالح في انحرافهم عن منهج الله وآدابه الفاضلة، وليتخذوا كتاب الله منهجاً وسلوكاً، وليتبعوا أدب الإسلام وتعاليمه السمحة العالية، حتى يسعدوا بالكرامة الإلهية في دار الآخرة، فما أجدر وأليق بنا معشر الأمة الإسلامية أن نهتم بهذا المبدأ الإنساني ونقدره حتى قدره.

#### • عوامل غرس البر في القلوب

وإن مما يساعد على غرس بر الوالدين في القلوب أمور كثيرة وأسباب

عديدة منها ما هي مكتسبة ومنها ما هي فطرية ومن هذه العوامل:

غرس الإيمان العميق في قلوب الناشئة، لأن الإيمان هو الدافع إلى القيام بحقوق الله ثم بحقوق العباد على مختلف طبقاتهم لاسيما الوالدين.

الدعاء للابناء بالتوفيق في كل أمورهم لا سيما الدعاء بالتوفيق للبر في جوف الليل وأدبار الصلوات وأوقات الرغائب، لأن الدعاء من أنفع الوسائل ومن أنجحها في ذلك، والله تعالى يعطي على الدعاء ما لا يعطي على غيره، قال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ (غافر ٦٠) وقد وعد الله تعالى لمن دعاه بالرشد، فقال: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ (البقرة ١٨٦)

وقال ﷺ: «إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب» وفي رواية: «إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة: آمين ولك بمثل»<sup>(١)</sup>. وقال ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «الدعاء مخ العبادة»<sup>(٣)</sup> وفي رواية قال: «الدعاء هو العبادة»<sup>(٤)</sup> وقال ﷺ: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه»<sup>(٥)</sup>. وقال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن - منها - ودعوة الوالد». وفي رواية: «ودعوة الوالد لولده..» وفي رواية: «دعاء الوالد يفضي إلى الحجاب»<sup>(٦)</sup>.

(١) سنن أبي داود ٨٩/٢.

(٢) سنن الترمذي وقال: حديث غريب ٣٠٩/٩.

(٣) سنن الترمذي وقال: حديث غريب ٣٠٩/٩.

(٤) سنن الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ٣١٢/٩.

(٥) سنن الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ٣١٢/٩.

(٦) سنن أبي داود ٨٩/٢، وسنن الترمذي ٣٢/٦، ٤٠٧/٩، سنن ابن ماجه ٣٤٨/٢.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ثلاثة لا ترد دعوتهم: الوالد، والمظلوم، والمسافر <sup>(١)</sup>

وعن مجاهد: ثلاثة لا تحجب دعوتهم عن الله عز وجل: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده، وشهادة ألا إله إلا الله <sup>(٢)</sup>

وكان الحسن يقول: دعاء الوالدين نجاة المال والولد <sup>(٣)</sup>

بذل النصيحة للأبناء وتذكيرهم وإرشادهم بفضل طاعة الوالدين، وبيان عظيم مكانة البر والإحسان في الإسلام إلى الوالدين، وذلك بقراءة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي اشتملت وحثت على بر الوالدين، وبقراءة الكتب التي تدعو إلى مكارم الأخلاق والبر والصلة والأدب والطاعة، والتي اشتملت أيضاً على سيرة سلفنا الصالح والقادة العظام الذين كانوا مثلاً يقتدى بهم في كل الأمور، وذكر صور من برهم للوالدين.

وفي مقابل ذلك تحذيرهم من مغبة العقوق والعصيان وأنه من أكبر الكبائر، وأن العاق يعجل له بالعقوبة في الدنيا قبل الآخرة، وأنه يسري ذلك في أبنائهم، كما ورد في الحديث السابق، وأن من أطاع والديه أطاعه أبناءه والعكس بالعكس.

ومما يساعد على البر عدم تكليف الآباء أبناءهم ما ليس في وسعهم أو فوق طاقتهم، والتسامح في بعض الأمور، وعدم التدقيق وعدم الإكراه في بعض الأمور، كما يقال: "إذا أردت أن تطاع فمر بما استطاع".

(١) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٧).

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٧).

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٧).

ومما يساعد على البر والإحسان قيام كل من الوالدين والأبناء بحقوق بعضهم، فالمسلم مأمور بتربية الأبناء تربية صالحة مثمرة بالخير والسعادة، بل هو حق الأبناء على الآباء، بحيث يحسن اسمه إذا ولد، ويعلمه الكتاب إذا عقل، ويزوجه إذا أدرك.

وروي أن رجلاً جاء بابنه إلى عمر رضي الله عنه فقال: إن ابني هذا يعقني فقال عمر رضي الله عنه للابن: أما تخاف الله في عقوق والدك؟ فإن من حق الوالد كذا ومن حق الوالد كذا، فقال الابن: يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق؟ قال: نعم، حقه عليه أن يستنجب أمه - يعني لا يتزوج امرأة دنيئة لكي لا يكون للابن تعبير بها - قال: ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب، فقال الابن: فوالله ما استنجب أمي وما هي إلا سنديّة<sup>(١)</sup> اشتراها بأربعمائة درهم، ولا حسن اسمي سمائي: جُعلاً - ذكر الحفّاش - ولا علمني من كتاب الله آية واحدة، فالتفت عمر رضي الله عنه إلى الأب وقال: تقول ابني يعقني فقد عققته قبل أن يعقك، قم عني<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سيع يؤجر فيهن من بعده: من بنى مسجداً فله أجره ما دام أحد يصلي فيه، ومن أجرى فمراً فدام يجري فيه الماء ويشرب منه الناس كان له أجره، ومن كتب مصحفاً وأحسنه كان له أجره ما دام يقرأ فيه أحد، ومن استخراج عيناً ينتفع بمائها كان له أجرها ما بقيت، ومن غرس غرساً كان له أجره فيما أكل الناس منه والطير، ومن علم علماً كذلك، ومن ترك ولداً يستغفر له ويدعو له من بعده، يعني إذا كان الولد صالحاً وقد علمه الأب القرآن والعلم، فيكون أجره لوالده من غير أن ينقص من أجر ولده شيء، فإذا

(١) أي: دعية. المعجم الوسيط (٤٥٤).

(٢) تنبيه الغافلين (٥٣).

كان الوالد لا يعلمه القرآن ويعلمه طريق الفسق، يكون وزره على أبيه من غير أن ينقص من وزر ولده شيء<sup>(١)</sup>.

ويؤيد هذا قوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(٢)</sup>.

وكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل، فعن ثابت البناني قال: روي أن رجلاً كان يضرب أباه في موضع فقيل له: ما هذا؟ فقال الأب: خلوا عنه فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع، فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع هذا بذلك، ولا لوم عليه<sup>(٣)</sup>.

قال بعض الحكماء: من عصا والديه لم ير السرور من ولده، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشته<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ: «أربع من سعادة المرء: أن تكون زوجته سالحة، وأولاده أبراراً، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده»<sup>(٥)</sup>.

وقال ﷺ: «حسن الملكة نماءً وسوء الخلق شؤم، والبر زيادة في العمر، والصدقة تمنع ميتة السوء»<sup>(٦)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تمت فرأيتني في

(١) تنبيه الغافلين (٥٤).

(٢) صحيح مسلم ٣/١٢٥٥.

(٣) تنبيه الغافلين (٥٣).

(٤) تنبيه الغافلين (٥٣).

(٥) تنبيه الغافلين (٥٣).

(٦) مصنف عبالرزاق ١١/١٣١، ومعنى (حسن الملكة) أي: حسن الصنيع والصحة إلى الممالك والخدم. النهاية ٤/٣٥٨، وانظر الترغيب والترهيب ٣/٣١٧.

الجنة فسمعت صوت قاريء فقلت: من هذا؟ فقالوا: حارثة بن النعمان فقال رسول الله ﷺ: كذلك البر، قال: وكان أبر الناس بأمه». قالت عائشة: وكان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أبر من كانا في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان وحارثة بن النعمان، فأما عثمان فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أُمِّي منذ أسلمت، وأما حارثة فإنه كان يُفلي رأس أمه ويطعمها بيده، ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج: ما أرادت أُمِّي؟<sup>(١)</sup>

حث الأب أبناءه بطاعة أمهم وبرها والإحسان إليها بكل الوجوه وبكل الأحوال، مع بيان فضلها وتحملها مشقة الحمل والوضع وتربيتهم. كذلك حث الأم أبناءها بطاعة أبيهم بكل الوجوه وبكل الأحوال مع بيان كبير ما يكابده الأب ويتحمّله، من تعب نفسي وجسدي، في توفير القوت والغذاء والكسوة والمسكن والمركب، ومستلزمات الدراسة وغير ذلك للأبناء، مما يوجب على الأبناء بر والدهم وطاعته والإحسان إليه.

بيان للأبناء بأن بر الوالدين سبب في رفع الدرجات وسبب في الوصول إلى مراتب الصالحين الأبرار المقربين وسبب في استجابة الدعوات، كما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال له: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد ثم من قَرْن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برّ لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل»<sup>(٢)</sup>. فهذا أويس رضي الله عنه ما وصل إلى هذه الدرجة بحيث إن الصحابي الجليل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يطلب منه الاستغفار إلا ببره بوالدته.

(١) مصنف عبدالرزاق ١١/١٣٢، وانظر بر الوالدين لابن الجوزي (٥٢).

(٢) صحيح مسلم ٤/١٩٦٨، وانظر صفة الصفة ٣/٢٢.

بيان للأبناء بأن بر الوالدين سبب في استجابة الدعاء وقبول التوبة وغفران الذنوب، ومن جملة الحسنات التي يذهب السيئات، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ قال: هل لك من أم؟ قال: لا قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم، قال: فبرها»<sup>(١)</sup>.

وبكى الحارس العلكي في جنازة أمه فقيل له في ذلك فقال: ولم لا أبكي وقد أغلق عني باب من أبواب الجنة<sup>(٢)</sup>  
وبكى إياس بن معاوية على أمه فقيل له في ذلك فقال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة وأغلق أحدهما<sup>(٣)</sup>

تذكير الأبناء بضرورة زيارة الجدات والخالات والعمات والإخوان والأخوات في المناسبات وغيرها، مع اصطحاب بعض الهدايا لهم، مما يجعلهم يتعودوا البر والصلة، ويحسوا بعظيم مكاتبتها في المجتمع الإسلامي، وإخبارهم بأن الصلة تزيد في العمر وذلك بسعة الحال والزيادة في الرزق وعافية البدن وتنعيم البال ونفي الآفات والأسقام، وفي الحديث «الخالة بمنزلة الأم»، وقال رجل يا رسول الله: إني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ قال: «هل لك من أم؟ قال: لا قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم قال: فبرها»<sup>(٤)</sup>

بيان للأبناء بأن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله، ومن أسباب

(١) سنن الترمذي ٣٠/٦، قال المباركفوري: وأخرجه ابن حبان والحاكم وفيه: (هل لك والدان؟) وقال الحاكم: صحيح على شرطهما . تحفة الأحوذى ٣١/٦.

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (٤٨).

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٤٨).

(٤) سنن الترمذي وقال: حديث صحيح ٣٠/٦.



الزيادة في العمر والنجاة من الهم والسوء، وسبب للخلاص من المآزق والمضايق، ومن المكاره بأنواعها، وفي الحديث «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»<sup>(١)</sup> وكما سبق ذكر ذلك في حديث الثلاثة وفي قصة جريج. مراقبة سلوك الأبناء في المدارس وفي غيرها، ومحاولة معرفة أصحابهم ورفاقهم، وفي الأمثال: "الصاحب صاحب".

على الآباء تطبيق البر عملياً للأبناء، وذلك عن طريق برهم بوالديهم، حتى يقتدي بهم الأبناء في ذلك، وفي الحديث «برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم»<sup>(٢)</sup>.



---

(١) سنن الترمذي وقال: حديث حسن غريب ٣٤٧/٦. قال المباركفوري: وأخرجه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد تحفة الأحوذى بشرح الترمذي ٣٤٨/٦.

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد وقال: هذا حديث غريب ولا أصل له في حديث مالك عندي ٣/٣٠٩، وقال المنذري: إسناده حسن الترغيب والترهيب ٣/٣١٧، ٤٩٢، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب بجمع الزوائد ٨/١٣٨، وانظر البر والصلة لابن الجوزي (٤٤).

## الفصل الأول: بر الوالدين

### المبحث الأول: تعريف البرِّ

البر: - بكسر الموحدة - أصله التوسع في فعل الخير، وهو أيضا اسم جامع للخيرات كلها، ومنه قوله تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾ (البقرة ١٧٧) ومنه قوله ﷺ: «البر حسن الخلق...»<sup>(١)</sup>، ويطلق أيضا على الصلة وعلى العمل الخالص الدائم، ومنه البيع المبرور: الذي لا شبهة فيه ولا خيانة. قال النووي: وهو بمعنى: الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق<sup>(٢)</sup>. ويراد به هنا: التوسع في الإحسان إلى الوالدين، وضده العقوق<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الثاني: عناية القرآن الكريم بالوالدين

برُّ الوالدين فريضة لازمة، وعقوقهما محرم بنص الكتاب والسنة. ولقد أولى القرآن الكريم هذه الفريضة عناية فائقة واعتبره من أهم الواجبات السلوكية بعد واجب التوحيد، مكافأة لهما على التضحية المتفانية في رعاية الأبناء، فبلغ من تقديره وعنايته لهذا الحق العظيم للوالدين حداً فاق كل التصورات، وأوفى على كل غاية تتطلع إليها الإنسانية وينشدها البشر في حياتهم.

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٨٠.

(٢) شرح مسلم ٥/٤١٩.

(٣) مفردات الراغب (١١٤).

فقد أمر الله ببرهما والإحسان إليهما، في كتابه الكريم في آيات واضحة في أساليبها وألفاظها وأوامرها، ونهى عن العقوق نهياً واضحاً صارماً قاطعاً بعبارة واحدة لا يفهم منها إلا النهي عن العقوق، فاختر من الألفاظ ما يدل على مقصوده بما لا يحتمل أي معنى آخر سوى النهي عن العقوق، وهذه الألفاظ جامعة مانعة، تأتي على جميع أنواع العقوق، وفي جانب البر كذلك.

وهذا الاحتياط إنما يدل على عناية الله بمكانة الوالدين، لأننا إذا تأملنا النصوص التي أمر الله فيها بأمر يحبه، أو نهى فيها عن أمر لا يحبه، لا نجد ذلك الاهتمام الذي كان عند حديث القرآن الكريم عن الوالدين، فإننا نجد الأمر يختلف، وما ذلك إلا لأن لهما من المنزلة والمكانة والحرمة والحق ما لا يبلغه غيرهما من سائر البشر إلا رسول الله ﷺ، حتى بلغ أن الله تعالى جعل البر قرين عبادته، لكي تتجه القلوب إليهما اتجاهها تستشعر بعظيم مكانتهما، فيكون ذلك مطبوعاً بطابع الإخلاص.

ذكر السمرقندي: أنه لو لم يذكر الله تعالى في كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بهما، لكان يعرف بالعقل أن حرمتها واجبة، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتها ويقضي حقهما، فكيف وقد ذكر الله تعالى وأمر في جميع كتبه: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وأوحى إلى أنبيائه ورسله وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما<sup>(١)</sup>.

فالوالدان شأنهما عظيم وخطرهما جليل وما يقومان به في حياة أبنائهم شيء لا يقوم به أحد غيرهما، بل ليس ذلك ممكناً ولا ميسراً إلا لهما، لِمَا أودع الله في نفوسهما من الحنان والعطف والرحمة.

(١) تنبيه الغافلين (٥٠، ٥١).

### المبحث الثالث: موجبات بر الوالدين

إن المكافأة فضل وكرامة وإعزاز وتشريف، بذل وحفاوة وتكريم، تستمال بها النفوس، وتجذب وتعطف وتؤلف بها القلوب، وهي من مكارم الأخلاق ومن آداب الإسلام، ومن خلق الكرماء الفضلاء من عباد الله الصالحين. والمكافأة مُشَرَّفٌ مُعَزَّزٌ مُكْرَمٌ، غير أن المكافأة عندما تكون مقابل معروف أو إحسان أو يد أو مسيبات وموجبات فيكون لها طعما مغايرا يتذوقه كلا الطرفين، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن ٦٠)

ولقد أكد سبحانه وتعالى في الوصية بالوالدين حيث افترضها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما في سلك القضاء بهما معا، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة و لرفع مكانة الوالدين وإجلالا لحقهما في كتاب الله الكريم، قرّن الله تعالى حقه بحقهما بأبلغ عبارات وأبدع أساليب، وتنوعت هذه الأساليب البديعة في الأمر ببرهما والنهي عن عقوقهما، لأسباب أوجبت لهما هذه المكانة، فمن هذه الموجبات:

إن الله تعالى خلق الخلق ولم يشاركه في خلقهم أحد؛ وخلق الأبناء وجعل الوسيلة في خلقهم وإيجادهم الوالدين، فكوفئهما كانا سببا في إيجاد الولد، ويتحملان من التعب النفسي والجسمي والبذل والمشقة مالا يتحملة غيرهما، لذلك عظم الله حقهما.

إن الله تعالى يمن بنعمه على خلقه ابتداءً وفضلاً منه وإحساناً؛ من غير سابقة

عمل أو عبادة تشفع لهم في نزول النعم أو تواصلها؛ والوالدان كذلك يبدآن بالإحسان حبا ورعاية وعطاءً وبذلاً من غير سابقة تستوجب ذلك من الولد.

إن الله تعالى يوالي نعمه وإحسانه وفضائله على الخلق وهو لا ينتظر منهم جزاءً، والوالدان كذلك يحوطان بالوليد رعاية وتربية من غير أن ينتظرا منه جزاء ولا شكوراً، فقد يخترم الابن الموت أو ينشأ عاقاً... إلخ، إنما العاطفة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى وغرسها في الوالدين.

إن الله تعالى يوالي نعمه وإحسانه على خلقه في حين يصدر منهم ما يستوجب قطعها، فكذلك الوالدان مع تقصير الأبناء في حقهما أو ما يندر منهم يستوجب قطعها من عقوق وعصيان، فلا يزال إنعامهما يتدفق على الولد، فكان تعبير القرآن الكريم في غاية الدقة حين قال: ﴿والوالدين﴾ ولم يقل "بالآباء..."، فيبين أن العلة هي الوالدية ذلك الوسام الذي لا يكتسب ولا يباع ولا يوهب ولا يشتري، فنعمة الوصل ونعم الواصل.

إن الله تعالى أمر بعبادته ونهى عن الإشراف به في قوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجارذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾<sup>(١)</sup> ثم أتبع ذلك بالأمر بالإحسان للوالدين، ثم أمر بوجوه الإحسان لأصناف من الناس تستدعي أحوالهم الاجتماعية أو قرابتهم أو قرب الصلة بهم في المسكن أو في الصحبة أو لظروف واعتبارات خاصة، زيادة الإحسان إليهم والشفقة عليهم والرحمة بهم.

أما الوالدان فقد أحسنا إليك أيها الوليد وأنت عاجز، وفرق بين من

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

يحسن إليك وأنت قادر ومن يحسن إليك وأنت عاجز<sup>(١)</sup>  
إن الله تعالى جعل الأمر ببر الوالدين في صورة عظيمة؛ حيث جعله قرين التوحيد، وجعل النهي عن العقوق قرين الشرك، فدل على أن العاق إن مات على عقوقه فهو على خطر عظيم.  
إن الإنسان بطبيعته يحب الخلاص مما يتأذى منه، لكن الوالدان لا سيما الأم بمجرد الولادة تزداد لهفة ورحمة وشفقة على الوليد مع ما يلحقها من التعب النفسي والإرهاق الجسدي إبان الوضع، وفرق بين من يكرمك حبا وكرامة وبين من يستتقل فيتمنى الخلاص.  
إن الإنسان بطبيعته يستتقل الإنفاق على غير نفسه ولربما أنفق الوليد ومهما بذل على والديه فإنه قد يتصور في نفسه أو بهجس له هاجس في خاطره أنه صاحب فضل وإنفاق عليهما وفي الأخرى قد يمن على المنفق عليه أو يتبرم، لكن الوالدان يبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعضاهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، في غير تأفف ولا شكوى، بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان ! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان !.  
إنهما مكرمة إلهية ورحمة ربانية، لله درهما ما أكرهما وما أرحمهما وما أطفهما.



(١) انظر تفسير الفخر الرازي ٤/١٧٦، ٢٠/١٨٦، الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ٢٠/٢.

## الفصل الثاني: أساليب القرآن في الحث على برّ الوالدين

لقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحث على برهما والإحسان إليهما تبعاً لاشتمال كلمة البر على كل خصال الخير، وما ذاك إلا لعظيم مكانتهما وكبير منزلتهما عند الله، وبيانا لما لهما من الحرمة والإجلال، وما لهما من حقوق ووجبات كثيرة عظيمة لا يقدر قدرها ولا يدرك مداها ولا يقوم بما حق قيام إلا من وفقه الله، فمن هذه الأساليب:

### ١- أسلوب أمر وهي وإضمان وتقابل:

قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ (النساء ٣٦) وقوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتعد مذموماً مخذولاً، وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ (الإسراء ٢٢-٢٣). الآيات تضمنت أسلوب أمر وهي وإضمان، فمقابل كل أمر هي والعكس.

فيقابل الأمر بعبادة الله النهي عن الإشراف به، ويقابل الأمر بالإحسان إلى الوالدين النهي ضمناً عن عقوقهما، فكما أنه لا يُشرك مع الله في شيء، فكذلك يجب ألا يحصل عقوق إلى الوالدين في شيء، ويؤيده قوله ﷺ: (رضى الرب في رضى الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالد)<sup>(١)</sup>

كذلك للآية ظاهران وباطنان، فظاهرهما الأمر بعبادة الله وطاعته، وبير الوالدين وطاعتهم، وباطنهما النهي عن الشرك وعن العقوق، وتتضح هذه المقابلة واضحة في قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً

(١) سنن الترمذي ٢٥/٦، قال المباركفوري: ورواه الطبراني بلفظ: (رضى الرب في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما) تحفة الأحوذى ٢٥/٦.

وبالوالدين إحساناً ﴿ (الأنعام ١٥١) .

٢- أسلوب الميثاق المؤكد باليمين:

قال تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً...﴾ (البقرة ٨٣) تضمنت الآية الإخبار في معنى الأمر والنهي، كما تقول: تذهب إلى فلان وتقول له كذا؛ وأنت تريد الأمر، وهو أكد وأبلغ من صريح الأمر والنهي، لأن الأمر أراد بهذه الصيغة إظهار المأور به وكأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء، ولا يأتي مثل هذا الأسلوب إلا في الأمر الهام الذي عظم خطبه وجلل خطره<sup>(١)</sup>.

والميثاق هو: العهد المؤكد باليمين، ومقتضاه القيام والوفاء به، كما قال تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم...﴾ (البقرة ٤٠).

قال القرطبي: وقد قرن الله تعالى في الآية حق الوالدين بالتوحيد، لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني - وهو التربية - من جهة الوالدين، لهذا قرن الله تعالى الشكر لهما بشكره<sup>(٢)</sup>.

٣- أسلوب الاقتداء والتأسي:

وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد النسخ وقد أمرنا بالاقتداء والتأسي فيما وافق شرعنا قال تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (الأنعام ٩٠) ومن ذلك بيان أن بر الوالدين والإحسان إليهما من شرائع الله في جميع الأديان السالفة التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله ولا تختص بشريعة معينة، وأنه من الأحكام التي لم يدخلها نسخ أو تبديل، ليدل ذلك على عظم هذا الواجب الإنساني وكبير منزلته عند الله، قال تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا

(١) الكشاف ١/١٥٩، فتح القدير للشوكاني ١/١٠٧.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي ٢/١٣.



الله وبالوالدين إحساناً» (البقرة ٨٣).

وعن عروة عن أبيه رضي الله عنهما قال: «مكتوب في التوراة ملعون من سب أباه ملعون سب أمه...» وفي رواية عن سعيد بن أبي سعيد قال: سأل رجل كعباً عن العقوق، ما تجدونه في كتاب الله من عقوق الوالدين؟ قال: إذا أقسم عليه لم يُبرره وإن سأل لم يعطه وإذا ائتمنه خانه، فذلك العقوق.<sup>(١)</sup>  
وعن عبد الصمد قال سمعت وهباً يقول: في الإنجيل: رأس البر للوالدين أن توفر عليهما أموالهما، وأن تطعمهما من مالك<sup>(٢)</sup>

٤- أسلوب المدح والثناء:

إن المدح والثناء بطبيعة الحال من الخوافر التي تدفع الإنسان لتحقيق الفضائل وكسب الرغائب، ولقد أثنى الله تعالى على بعض الأنبياء - عليهم السلام - لبره بوالديه، وإن كان الأنبياء أصل كل فضيلة ومحمدة ومصدر كل خلق كريم، ولا عجب إذا رأينا بر الوالدين صفة بارزة في أخلاقهم، ليكون ذلك منهجاً يُتبع وغاية تُقصد، قال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم ١٤)، وقال عن عيسى عليه السلام وهو يلهج لسانه بكلمة البر منذ أن كان صبياً في المهد ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم ٣٢).  
ومفهوم الآيات أن البر بالوالدين لا يصدر إلا عن نفس قد امتلأت بالرحمة وانطبعت بطابع الإحسان، ولا تُترع هذه الصفة النبيلة إلا من نفس جبار مبالغ في الجبروت وأصل حد النهاية في العصيان والشقاوة، في الحديث: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»<sup>(٣)</sup>

(١) مصنف عبد الرزاق ١١/١٣٦، ١٣٧.

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (٤١).

(٣) سنن الترمذي وقال حديث حسن ٥٠/٦.

روي عن كليم الله موسى عليه السلام أنه قال: «يا رب بماذا أبرك؟ قال: بر والديك» حتى قالها ثلاثاً. (١)

ويتبع ذلك استحقاق كل بار بوالديه هذا الثناء والمدح، فمن ذلك ما جاء في الكتاب العزيز من وصف للمؤمن البار بالوصف الجميل وبالذكر الطيب وبالثناء الحميد، ودعائه لله جل وعلا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ (الأحقاف ١٥).

فمسألة هذا العبد الصالح البار، هو أن يوفقه الله لشكر نعمه عليه وعلى والديه، وأن يعمل صالحاً يرضيه تعالى وأن يصلح له في ذريته.

#### ٥- بيان إكرام الفروع لإصلاح الأصول:

وهذا من إكرام الله تعالى للعبد، فإن الرجل الصالح ليحفظ في ذريته بصلاحه، وليس صلاح أكبر وأصلح من بر الوالدين، قال تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين ييمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً﴾ (الكهف ٨٢).  
والعجيب أن بعض المفسرين ذكر أنه الجد السابع، وأهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يُذكر منهما صلاحاً (٢).

وجاء في موضع آخر أن الله عز وجل ليرفع درجة ذرية المؤمن بسبب إيمان من الآباء فيلحقهم بدرجاتهم وإن كانوا لا تستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آباتهم ليكمل لهم السرور، كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم

(١) مصنف عبد الرزاق ١١/١٣٢، وانظر بر الوالدين لابن الجوزي (٤٨).

(٢) الكشاف ٢/٧١٣، وابن كثير ٣/٩٩، فتح القدير للشوكاني ٣/٣٠٤.

بإيمان الحقنا بهم ذريتهم ﴿الطور ٢١﴾<sup>(١)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يُصلح بِصَلاحِ الرجل الصالح ولده وولد ولده، وأهل دويرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم» وفي رواية: «فما يزالون في ستر الله وعافيته»<sup>(٢)</sup> وفي مقابل ذلك موقف شرس ومعاند، لم يُغفل القرآن الكريم هذه الصورة الشنيعة، وذلك لبيان عظم حق الوالدين وعظم عقوبة من عقهما، قال تعالى: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ (الأحقاف ١٧).

٦- أسلوب الوصية:

الوصية كما نعلم شأنها في نفس من تربي على الإيمان أعمق وأبعد أثراً، لا سيما حينما تكون من صاحب نعمة، ومن صاحب الأمر والتدبير وموجد الخلق أجمعين، فهي تحمل معنى الأمر وتحمل معنى الالتزام. والفرق بين الأمر الصريح والوصية، أن آخر ما استقر الأمر عليه الوصية، وبهذا تكون الوصية خالدة مخلدة وهي أيضاً في قوتها أقوى من الأمر وفي أثرها أبلغ منه، قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ (العنكبوت ٨) وقال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن وفصاله في عامين أن شكري ولو الديك إلى المصير﴾ (لقمان ١٤) وقال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ (الأحقاف ١٥). لكي يبقى ذكرى الإحسان قائما دائما مخلدا، كما يبقى أثر الوصية

(١) سورة الطور (٢١). ألتناهم: نقصناهم الكشاف ٤/٤٠١.

(٢) أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم انظر فيح القدير للشوكاني ٦/٣٠٦.

مستمرا، فكلما يطرأ نسيان أو ذهول أو تقصير في الإحسان، تذكر العبد وصية الله تعالى بهذه الآية: ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥١-١٥٣).

ويلاحظ أن وصية الولد بالوالدين قد تكررت في القرآن الكريم وفي وصايا الرسول ﷺ، ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا نادرا، ومعظمها في حالة خاصة في ظروف خاصة، مثل حالة "الوَاد"، ومثل الوصية في تقسيم التركة، كما قال تعالى: ﴿وَصِيَّكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾ (النساء ١١) ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه تلقائيا مندفعة بذاتها لا تحتاج إلى مشير، فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المتكررة لينتفت إلى الجيل الضحي المدبر المولّي الذاهب في أدبار الحياة، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة! وما يملك الوليد وما عساه يبلغ أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه؟ ولو وقف عمره عليهما، وهذه الصورة الموحية: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَاتَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي شِجَابِ الْمَرْبِطِ الْخَالِطِ﴾ (لقمان ١٤) ترسم ظلال هذا البذل النبيل.

والأم بطبيعة الحال تحتل النصيب الأوفر من التعب النفسي والروحي، وتجوّد به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق، وعن بريدة ؓ أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي ﷺ هل أدبت حقها؟ قال: «لا ولا بزفرة واحدة»<sup>(١)</sup>.

نلاحظ في القرآن الكريم عدم وجود الأمر المباشر ببر الوالدة، فهل معنى هذا أن القرآن الكريم سَوّى بين حقهما.؟

لا شك أن حق الوالدة في البر أعظم وأكبر، وذلك وضحتة السنة، فهي

(١) مسند البرار ٣٧١/٢، انظر مجمع الزوائد ١٣٧/٨، تفسير ابن كثير ٣/٣٥.

مبينة للقرآن الكريم، واللفتات الكريمة العظيمة في كلام الله جل وعلا توحى بحق الأم في مزيد البر والرعاية والإكرام، قال تعالى: ﴿حمله أمه وهنأ على وهن﴾ وقال تعالى: ﴿حمله أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾، هذه المعاناة في الحمل والوضع والرضاع لا يشاركها فيها الوالد، ثم هي أسرع بالعطف والحنو والشفقة عليك من والدك.

وإن مما ورد في السنة في بيان حق الأم، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابي؟ قال رسول الله: أمك، قال الرجل: ثم من؟ قال رسول الله: أمك، قال الرجل: ثم من؟ قال رسول الله: أمك، قال الرجل: ثم من؟ قال رسول الله: أبوك»<sup>(١)</sup>.

فجعل الرسول ﷺ - كما يقول الحسن البصري - للأم من الحق بحسن الصحبة، نسبة ثلاثة أرباع، وجعل للأب شبه الربع<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سلامة السلمي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أوصي امرأ بأمه، أوصي امرأ بأمه، أوصي امرأ بأمه، أوصي امرأ بأبيه»<sup>(٣)</sup>

وعن المقدم بن معديكرب رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثلاثاً، إن الله يوصيكم بآبائكم...»<sup>(٤)</sup>

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري ٤٠١/١٠، ومسلم ١٩٨٤/٤، وسنن الترمذي ٢١/٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٢/٨، بر الوالدين للطرطوشي (٣٥).

(٣) سنن ابن ماجه ٣٠٨/٢، ومصنف عبد الرزاق ٣٥٢/٨.

(٤) سنن ابن ماجه ٣٠٨/٢، وانظر تفسير ابن كثير ٣٥/٣.

(٥) صحيح البخاري ٤٠٥/١٠، ومعنى: منع وهات أي: منع ما أمر بإعطائه وطلب ما لا =

وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ لفظة عظيمة رائعة، يعني: أن صلتك بالمخلوقين ينبغي أن تكون من خلال عبوديتك لله بعد أن عرض عليك صورة ما تتحمله أمك، قال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي﴾ أي: أنا البداية فلا بد أن يكون برك بوالديك عبودية لله.

فغناية الله هي المهيمنة على الإنسان منذ خلقه الله جل وعلا وهي مسابرة له مدة وجوده، لذا كان من حقه جل وعلا تقديم شكره على شكر الوالدين، ويربط سبحانه وتعالى بهذه الحقيقة حقيقة الآخرة: ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ حيث يرفع رصيد الشكر المدخور.

نستخلص من النصوص أن مبدأ الإحسان للوالدين مبدأ ثابت ولو كانا كافرين، ولكن يجب ألا يكون على حساب حق الله على عباده، فلا يصح هذا المبدأ بحال من الأحوال أن يطغى على مبدأ وجوب الإيمان بالله والتزام طاعته وإتباع شريعته لعباده، وأن المهيمن على هذه الوصية هي وشيخة العقيدة، لذا قال الله تعالى في بقيتها: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان ١٥). وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت ٨).

وعن سعد بن مالك رضي الله عنه قال: أنزلت في هذه الآية ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ قال: كنت رجلا برا بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه، فقلت: لا تفعلني يا أمه فإني لا أدع

= يستحق أحذه فتح الباري ٤٠٦/١٠.

ديني لشيء، فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلني وإن شئت لا تأكلي فأكلت<sup>(١)</sup>.

وعن أسماء رضي الله عنها قالت: «قدمت عليّ أمي وهي مشرقة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك»<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي: فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستتبط منه وجوب نفقة الأبوين الكافرين وإن كان الولد مسلماً<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير ٤٤٥/٣، ويمثله أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ٤٨/٩، وانظر في ظلال القرآن ٢٧٢٣/٥.

(٢) صحيح البخاري ٢٣٣/٥.

(٣) أعلام الحديث ١٢٨٧/٢.

وقد عظم الله تعالى في كتابه العزيز حق الرحم مطلقاً وأمر بوصلها والقيام بحقها حتى ولو كانت كافرة، فقال تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام...﴾ النساء (١) وأتني على الذين يصلونها فقال تعالى: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم...﴾ الرعد (٢١) وذمَّ الله وشنع على قاطعي الرحم وعظَّم قطيعتها وأوجب حقها وإن كانت كافرة فقال: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ محمد ﷺ (٢٢، ٢٣). وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» البخاري ٤١٢/١٠، وقد ناشدت قريش النبي ﷺ الله والرحم، والوالدان أولى وأجل في ذلك. انظر زاد المعاد ٢٩٧/٣.

وبين الرسول ﷺ هذا المعنى ووضحه أكثر بقوله فيما يرويه عنه عبد الله ابن مسعود ؓ قال: «سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

فبدأ الرسول ﷺ في هذا الحديث بحق الله على عباده، وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، والصلاة على وقتها من أهم أركان العبادة في الإسلام، ثم ثنى ببر الوالدين، وقد اتبع الرسول ﷺ في هذا ما جاء في النصوص القرآنية التي سبق الاستشهاد بها<sup>(٢)</sup>.



(١) صحيح البخاري ٤٠٠/١٠، والترمذي ٢٣/٦.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢٣/٢، ٢٧.



## الفصل الثالث: حقوق الوالدين

إن الوالدين لأقرب الأقرباء وأرحم الرحماء، وهبّة إلهية ومنحة ربانية ومكرمة رحمانية، وإن لهما لفضلا وإن لهما لرحما وإن لهما لواجبا مفروضا، واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة، واجب الإيثار والتقديم، وهما أكد حرمة في البر ممن سواهما، قد أوجب الله لهما حقوقا، ورتب لهما خصائص وامتيازا، فمن بعض هذه الحقوق:

### ١- الإحسان

والإحسان كاسمه، وقد تكرر لفظ الإحسان في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ (البقرة ٨٣) وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ (النساء ٣٦) وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كَيْفَ تَعْبُدُونَ اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام ١٥١) وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء ٢٣) وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا﴾ (العنكبوت ٨) وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الأحقاف ١٥)

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله الجنة: الرفق بالضعيف، والشفقة على الوالدين...»<sup>(١)</sup>

وهذا مما يؤكد أهمية هذا الواجب العيني، ويوحى بالعموم والشمول لكل ما تحتمله معاني البر والإحسان والخير تجاه الوالدين، وضدها يشمل كل معاني العقوق والعصيان، ومن هنا يأتي البر والإحسان إلى الوالدين من أوسع

(١) سنن الترمذي وقال: حديث غريب ١٩٥/٧، ١٩٦.

الأبواب وأعمها وأشملها، ومن أوجه كثيرة متعددة، ليدرك المسلم سر ذكر لفظ البر والإحسان إلى الوالدين في القرآن الكريم. وإن مما يشمله أوجه الإحسان:

أ- موافقة الوالدين على أغراضهما الجائزة المباحة، كما أن عقوقهما في مخالفتها في أغراضهما الجائزة لهما، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله، كذلك إذا كان من قبيل المندوب.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني أن أطلقها فأبيت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عبد الله بن عمر طلق امرأتك»<sup>(١)</sup>

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال أن رجلا أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه»<sup>(٢)</sup>

وقال هشام بن حسان قلت للحسن: إني أتعلم القرآن وإن أمي تستظرنني بالعشاء، قال الحسن: تعش العشاء مع أمك تقر به عينها، أحب إلي من حجة تحجها تطوعا<sup>(٣)</sup>

وعن بشر بن الحارث قال: الولد بالقرب من أمه حيث تسمع، أفضل من

(١) سنن أبي داود ٣٣٥/٤، سنن الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ٣٦٨/٤، وانظر بر الوالدين لابن الجوزي (٣١) بر الوالدين للطرطوشي (٧١).

(٢) سنن الترمذي وقال: حديث صحيح ٢٤/٦.

إن الأبوان في الغالب لا يأمران بتنفيذ مثل هذا لأمر إلا ما تحققت مصلحته وإن خفيت على الابن، لذا أمر الابن بتنفيذ أمرهما في الطلاق وغيره.

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٤٨).

الذي يضرب بسيفه في سبيل الله عز وجل، والنظر إليها أفضل من كل شيء<sup>(١)</sup>.  
وعن عمارة قال سمعت أبي يقول: ويحك أما شعرت أن نظرك إلى والدتك  
عبادة، فكيف البر بما؟<sup>(٢)</sup>

ب- تقديم برهما على الجهاد والهجرة إلا ياذنهما إذا كانا مسلمين ولم يتعين  
الجهاد ولم يقع النفي فلا يجاهد الابن إلا ياذنهما، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله  
عنهما قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والدك؟ قال:  
نعم، قال: ففيهما فجاهد»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية قال: أباعك على الهجرة والجهاد أتبغى  
الأجر من الله، قال: «فهل من والدك أحد حي؟ قال: نعم بل كلاهما، قال: فتبغى  
الأجر من الله؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى والدك فأحسن صحبتهما»<sup>(٤)</sup> وفي رواية  
قال: «وتركتهما يكيان، قال: ارجع فأضحكهما كما أبكتهما»<sup>(٥)</sup>

وعن محمد بن طلحة بن معاوية بن جابر السلمي عن أبيه ﷺ قال:  
«أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني أريد الجهاد معك في سبيل الله  
فقال: أمك حية؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: الزم رجلها فتم الجنة»<sup>(٦)</sup>  
ورد عمر ﷺ رجلا من الطريق أراد الغزو بغير إذن أبويه<sup>(٧)</sup>

(١) بر الوالدين لابن الجوزي (٤٩).

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (٤٩).

(٣) صحيح مسلم ١٩٧٥/٥.

(٤) صحيح مسلم ١٩٧٥/٤.

(٥) صحيح البخاري ٤٠٣/١٠، صحيح مسلم ١٩٧٥/٤، سنن أبي داود ١٧/٣.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٦/٨، وانظر بر الوالدين للطرطوشي (٥٦) تفسير ابن كثير  
٣٥/٣.

(٧) مصنف عبد الرزاق ١٣٤/١١، وانظر البر والصلة لابن الجوزي (٤٥).

ج- ألا يتعرض لسيهما ولا يعقهما، فإن ذلك من الكبائر، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» وللترمذي «من الكبائر أن يشتم الرجل والديه...»<sup>(١)</sup>

د- صلة أهل وُدِّهما، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على راسه، فقيل له: اصلحك الله! إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولي»<sup>(٢)</sup> وقال عمر بن الخطاب ﷺ: من أراد أن يسبر أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده<sup>(٣)</sup>

وعن أبي أسيد رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ جالسا فجاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقي من بر والدي من بعد موتهما شيء أبرهما به؟ قال: نعم الصلاة عليهما- أي الدعاء- والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما فهذا الذي بقي عليك»<sup>(٤)</sup>

وكان ﷺ يهدي لصديقات خديجة رضي الله عنها برا بها ووفاء لها وهي

(١) صحيح البخاري ٤٠٣/١٠، سنن الترمذي ٢٨/٦.

(٢) صحيح مسلم ١٩٧٩/٤، سنن أبي داود ٣٣٧/٤، سنن الترمذي ٢٩/٦.

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٧٩).

(٤) سنن أبي داود ٣٣٦/٤، سنن ابن ماجه ٣٠٩/٢.

زوجته، فما ظنك بالوالدين؟<sup>(١)</sup>

هـ - مساعدتهما في أعمالهما، ومهما بلغ الابن من المنزلة والمكانة الاجتماعية أو بلغ من الوظيفة أو المال أو الجاه فإنه يبقى ابنا في عين والديه كما عهداه صغيرا مدللا، إذ ليس من الأدب والبر والإحسان أن يتأفف الابن من مساعدة أبيه وأمه، فيساعد كل منهما فيما يخصه من العمل.

و- التودد لهما بكل ما يمكن كتقبيل اليد أو الرأس أو الاحتضان والمعانقة والاتصاق بهما إظهارا للحب والوجد والولع، والجلوس أمامهما بكل أدب ونوقير ووفار وسكنية وانتباه، فلا يفعل فعلا يتنافى مع هذه الآداب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا مع آخر فقال: من هذا الذي معك؟ قال: أبي قال: أخطأت الحق ولم توافق السنة، لا تمش بين يديه ولكن أمش عن يمينه أو خلفه، ولا تدع أحداً يقطع بينك وبينه، ولا تأخذ عرقاً نظر إليه أبوك، ولا تجلس قبله ولا تتم حتى ينام، ولا تدع باسمه ولا تستسب له<sup>(٢)</sup>

وقال فرقد: قرأت في بعض الكتب ما بر ولد حد بصره إلى والديه، وأن النظر إليهما عبادة، ولا ينبغي للولد أن يمشي بين يدي والده ولا يتكلم إذا شهد، ولا يمشي عن يمينهما ولا عن يسارهما إلا أن يدعوا فيجيبهما، أو يأمرهما فيطيعهما، ولكن يمشي خلفهما كالعبد الذليل<sup>(٣)</sup>

ز- إدخال السرور عليهما، وذلك بالجد والاجتهاد في تحقيق كل ما يحبانه ويرغبانه لا سيما في الدراسة حتى يحقق الابن النجاح الذي يقر به عيني

(١) انظر صحيح البخاري ١٣٣/٧.

(٢) مصنف عبد الرزاق ١٣٨/١١، البر والصلة لابن الجوزي (٥٤) أي لا تعرضه للسب ولا تجره إليه.

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٧).

والديه، ويوفر عليهما مصروف النفقات التي يبذلانه عليه، ويتحقق هذا باهتمام الاخوة الكبار بالصغار سواء في التوجيه أو المذاكرة أو الاعتناء بهم وبتابعاتهم أو بتعليمهم، عن عبد الصمد قال سمعت وهبا يقول: في الإنجيل رأس البر للوالدين أن توفر عليهما أموالهما، وأن تطعمهما من مالك<sup>(١)</sup>

ح- جبر خاطرهما بالهدية حسب المستطاع وإن كانا غنيين، وألا يؤثر أو يقدم أحدا بالهدية عليهما، وأن يأكل معهما بعد كل حين، وأن يستكثر من زيارتهما ولا يكتفي بالهاتف فالمكالمة لا تغني عن المشاهدة، فأسعد اللحظات للوالدين رؤية أبنائهما وأبناء أبنائهما، وبذلك يكسب الولد دعواتهما وهذا أفضل وأشرف وأسعد أمر للولد من الدنيا وما عليها.

ط- أن يرضيهما بعد موتهما كما كان يرضيهما حال حياتهما، ويتحقق هذا بثلاثة أمور:

أن ينشأ الولد صالحا في نفسه ولا شيء أحب إليهما من صلاح الولد.

أن يصل قرابتهما وأصدقاهما.

أن يستغفر ويدعو لهما ويتصدق عنهما.

٢- الكلمة الطيبة وحسن المعاملة:

إن الكلمة الطيبة قبل أن تكون سهلة المنطق محببة إلى النفس مرغوبة إلى

السمع فهي صدقة ومعروف قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا

أَذَى﴾ (البقرة ٢٦٣) وقال ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة...»<sup>(٢)</sup>

ولعظيم مكانة الكلمة الطيبة وفضلها فقد قرنها الله تعالى مع أعظم أركان

(١) البر والصلة لابن الجوزي (٥٧).

(٢) صحيح مسلم ٦٩٩/٢.

الإسلام: الصلاة والزكاة وأمر بها لجميع الناس، والوالدان أولى بذلك فقال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (البقرة ٨٣) وللكلمة الطيبة وقع لطيف على النفس حيث تجبر الخاطر وتنعش المشاعر وتحيي الوجدان وتبعث الأمل، كما أنها منبعثة من حسن المعاملة المشتملة على الرفق واللين واللطف.

ولما كان الوالدان قد وصلا من العمر وطول المكث ما قد يحصل معه للمرء - بحكم الجبلة - استئصال وملل وتضجر، فقد يُظهر الولد غضبه على أبويه ويستطيل عليهما بدالة البتوة أو بقلة الديانة، حتى ولو بأقل مكروه مثل إظهاره التضجر بنفسه المتردد، لذا خص هذا العمر من هذا الوقت مقابله بحس المعاملة، وبالقول الموصوف بالطيبة والكرامة، وبمصاحبتهم بالرفق واللطف واللين، حسب مقتضى حالهما، قال تعالى: ﴿ولا تنهزهما وقلاً كريماً﴾ (الإسراء ٢٣)

والقول الكريم المذكور في الآية كما قال العلماء هو: القول السالم من كل عيب، وليعلم الوليد أن صدور الكلمة الطيبة منه وحسن المعاملة، إنما هو مقابل ما قاساه الأبوان لا سيما الأم من الشدائد والحن منذ الحمل حتى آخر لحظة من عمره، فهو رد لبعض الجمائل، فعن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها، فسأل النبي ﷺ: هل أدبت حقها؟ قال: «لا، ولا ولا بزفرة واحدة»<sup>(١)</sup>

وما يملك الوليد وما عساه أن يبلغ ويعوض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما، مهما حاول وبذل فإنه لا يساوي مقابل ﴿حملته أمه وهنأ على وهن﴾ في خلقتها في فكرها في معتادها اليومي فهي تزداد كل يوم ضعفاً على

(١) مسند البرار ٣٧١/٢، وانظر مجمع الزوائد ١٣٧/٨، تفسير ابن كثير ٣٥/٣.

ضعف بسبب الحمل.

فالسعيد من بادر باغتنام فرصة برهما، لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك، والشقي من عقهما لا سيما من بلغه الأمر ببرهما.

٣- التواضع ولين الجانب:

إن التواضع ولين الجانب جزء من إسلام المرء، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر ٨٨) وقال ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا...»<sup>(١)</sup>

ويعني ذلك التعبير الصادق لأحاسيس الإنسان اللطيفة وعمما يكنه القلب من المودة والاحترام وما يحمله من تبجيل وتوقير، والوالدان أحق الناس بمثل هذه المشاعر الطيبة والسماوات النبيلة.

وقد صوره بعض العلماء في صورة تذلل الرعية للأمير والعبيد للسادة، وكقول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ، فينبغي للابن بحكم هذه الآية أن يجعل نفسه مع الوالدين في خير ذلة في أقواله وسكاته ونظراته.

وفي هذا يقول سيد قطب: هي الرحمة تبلغ شغاف القلب وجنايا الوجدان ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينا ولا يرفض أمرا كأنما الذل جناح يخفضه إيدانا للسلام والإستسلام قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقَل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء ٢٤).<sup>(٢)</sup>

إن هذا الخفض يكون من الرحمة المتناهية المستكنة في النفس، لا بأن يكون ذلك استعمالاً، فإنهما قد وصلا من العمر غاية في الضعف والشيخوخة، فلا

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٩٨.

(٢) في ظلال القرآن ٤/٢٢٢١.



يناسب معهما إلا غاية الشفقة والذل والاستكانة والتواضع، فكما أنت أيها الابن كنت طفلاً صغيراً تتأذى من أنفه الأشياء والأسباب والأصوات والحركات، فكذلك هما الآن يلحقهما أذى من أنفه الأشياء.

فإذا أنعم الله عليك أيها الولد بالإسلام، فإن الاختلاف في العقيدة والأمر بعدم طاعتها في العقيدة لا يسقط حقهما في المعاملة الطيبة والصحة الكريمة، فليس من حق الولد ولا من اختصاصه بل ولا فيما شرعه الله عليه في أن يقسو على والديه لأجل العقيدة، بل وليس من العدل أن يكون الولد في غاية من الغنى والراحة، والأبوان في تعاسة وشقاء، فإن الكفر لا يسقط حق الوالدين بحال من الأحوال.

٤- طاعتها في غير معصية الله:

إن الوالدين هم أقرب الأقرباء، وأوفى الأوفياء، وأعز الأصفياء، وإن لهما فضلاً وإن لهما لرهما، وإن لهما لواجباً مفروضاً، واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة والإحسان والرعاية، ولكن مع هذا كله ليس لهما من طاعة في حق الله شيء، فلا يمكن أن يطغى حق الوالدين على حق الله بأي حال من الأحوال، قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (العنكبوت ٨) وقال تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أتى إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (لقمان ١٥)

وقال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»<sup>(١)</sup>

ذكر أهل التفسير والسنن أن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص

(١) مسند أحمد ٦٦/٥، قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح مجمع الزوائد ٢٢٦/٥.

رضي الله عنه، وأمه همنة بنت أبي سفيان، وكان باراً بأمه، فقالت له: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت، فتعير بذلك أجد الدهر، يقال: يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني، فكلني إن شئت وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله هذه الآية آمراً بالبر بالوالدين والإحسان إليهما وعدم طاعتهم في شرك<sup>(١)</sup>.

وليحذر الولد بأن تكون رابطة بالوالدين به بعد كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة، بعد رابطة العقيدة، أما أن تُخدش العقيدة ﴿فلا تطعها﴾ فإلى هنا ويسقط واجب الطاعة وتعلو رابطة العقيدة على كل الروابط، ويتحول البر والإحسان إلى: ﴿واتبع سبيل من أتى إلي﴾ فهو مأمور بعدم الطاعة من الله صاحب الحق الأول في الطاعة، وليصاحب والديه في هذه الرحلة القصيرة المدى التي لا تؤثر في الحقيقة الأصلية.

قال القرطبي: في الآية دليل على صلة الأبوين الكافرين. بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق<sup>(٢)</sup>.

عن سلام بن مسكين قال: سألت الحسن قلت: الرجل يأمر والديه بالمعروف وينهاهما عن المنكر؟ قال: إن قبلا، وإن كرها فدعهما<sup>(٣)</sup>

وهكذا ينتصر الإيمان على فتنة القرابة والرحم، ويستبقي حق الإحسان

(١) انظر سنن الترمذي ٤٩/٩، وتفسير الطبري ١٣١/٢، وأحكام القرآن للقرطبي

٣٢٨/١٣، وفي ظلال القرآن ٢٧٢٣/٥.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي ٦٥/٤.

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٤١).

والبر، وإن المؤمن لَعُرْضَةٌ لِمِثْلِ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ فليكن له في ذلك إرشادات الله في كتابه وفعل الصحابي سعد بن أبي وقاص خير دليل وخير نجاة من هذه الفتنة.

#### ٥- الدعاء لهما

إن للدعاء فضل كبير، ومكانة جليلة، وبركة عظيمة سواء للداعي أو المدعو له، وإن الله ليعطي بالدعاء ما لا يعطي بغيره، وهو مخ العبادة أو هو العبادة وسلاح المؤمن ووصله الذي يصله بجناب الله الذي لا تعجزه المسائل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾. (البقرة ١٨٦). وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سِيدخلون جهنم داخرين﴾ (غافر ٦٠)

ويعني الدعاء للوالدين مكافأة على ما بذلا قال ﷺ: «من صنَّعَ إليه معروفا فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الشاء»<sup>(١)</sup>

ويعني طلب الرحمة والمغفرة لهما اعترافاً بالفضل وعرفاناً بالجميل وامتداداً للوفاء لهما لما قلما من التضحية والبذل، وبالدعاء إظهار للود والوجد والمحبة لهما وإحساس بفقدانهما، وبالدعاء إحياء لذكراهما وتخليدا لصدى الأبوة لهما، فإن حق الوالدية لا ينقطع بالموت بل يبقى قائما دائما كما كان في حال حياتهما، لا سيما الدعاء لهما عن ظهر الغيب، فأفضل الرغائب دعاء الغائب لأخيه الغائب، وفي الحديث عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال:

(١) سنن الترمذي وقال: حديث جيد غريب ١٨٥/٦. وقال المناوي: إسناده صحيح تحفة الأحوذى ١٨٦/٦.

يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم: الصلاة عليهما - أي: الدعاء لهما- والاستغفار لهما...» الحديث<sup>(١)</sup>.

والأبوان أحق وأولى بهذه الكرامة والفضل، ولمكانتهما ولفضل الدعاء لهما فقد ألهمنا الله كيف ندعو لهما فقال تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ (الإسراء ٢٤).

وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، يقول القرطبي: فترحم أيها الابن كما رحماك وترفق بهما كما رفق بك، إذ ولياك صغيراً جاهلاً محتاجاً فأثراك على أنفسهما وأسهر ليلهما، وجاعاً وأشبعاك، وتعرياً وكسواك، فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتلي منهما ما وليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل السبق والتقدم، فإن الدعاء لهما مقابل كل ما قدماه ليس بكثير عليهما، هذا إذا سلما من العقوق والعصيان<sup>(٢)</sup>.

وليكن الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - قدوتنا في ذلك، هذا إبراهيم عليه السلام أداء لحق الأبوة وبراً بهما يدعو لوالديه مع أن والده كان كافراً، فكيف بهما إذا كانا مسلمين، لا شك أن الأمر حينئذ يتوجب ويتوجه بصورة مؤكدة، قال عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (إبراهيم ٤١)<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن أبي داود ٣٣٦/٤، وسنن ابن ماجه ٣٠٩/٢.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي ٢٤٤/١٠.

(٣) قد يقال: كيف دعا إبراهيم عليه السلام لوالديه وكان كافرين، يقول القرطبي: إنه استغفر لهما قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله، وقيل: أن العبد إذا قال: اللهم اغفر لي ولوالدي وكان أبواه قد ماتا كافرين انصرفت المغفرة إلى آدم وحواء عليهم السلام لأنهما والد الخلق أجمع. أحكام القرآن ٣٧٥/٩.

وجاء ذكره في موضع آخر من الكتاب العزيز وهو يدعو لوالده بالمغفرة والهداية مع اعترافه بضلال أبيه وغوايته، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَاعْفُرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء ٨٦)

بل كما ذكر القرآن الكريم أن آزر سب إبراهيم بقوله: ﴿لئن لم تنته لأرجمك واهجرني ملياً﴾ (مريم ٤٦) فأجابه إبراهيم بجواب يُنبئ عن حق الأبوة على الأبناء قائلًا: ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان يبيحياً﴾ (مريم ٤٧) فهذا بره بأبيه الكافر وهكذا وصية الله للصالحين.

ويقول الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام وهو يدعو لوالديه بالمغفرة ويعمم في دعائه لجميع المؤمنين، قال الله عز وجل حكاية عنه: ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولم يدخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ (نوح ٢٨) <sup>(١)</sup> كل هذا ذلك ليكون ذلك منهجاً يتبع وأسوة يقتدى.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه فقال: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام يا ولدي ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما رببني صغيراً، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً <sup>(٢)</sup>

ويستتبط مما سبق من النصوص وجوب الاجتهاد في الدعاء للوالدين، روى عن بعض السلف أنه قال: إن في ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش على الولد <sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، خير

(١) انظر تنبيه الغافين (٥٢).

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (٥٣).

(٣) تنبيه الغافلين (٥٢).

مما بين السماء والأرض، وإن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(٢)</sup>

وعن عبد الله عون قال: النظر إلى الوالدين عبادة، ونادته أمه فأجابها فعلا صوته فأعتق رقبتين<sup>(٣)</sup>

وكان عروة ابن الزبير يقول في صلاته وهو ساجد: اللهم اغفر للزبير بن العوام وأسماء بنت أبي بكر<sup>(٤)</sup>

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير: مات أبي فما سألت الله حولا إلا العفو عنه<sup>(٥)</sup>، وكان أبو يوسف الفقيه الحنفي يقول عقب صلاته: اللهم اغفر لأبوي ولأبي حنيفة<sup>(٦)</sup>

ويتوقف هذا على كون الابن ينشأ صالحا مصلحا طالب علم فإنه يجمع لوالديه كل هذه الخصال المذكورة من: الصدقة عنهم وانتفاعه بعلمه والدعاء لهم.

(١) سنن ابن ماجه ٣٠٨/٢، مسند أحمد ٥٠٩/٢، بر الوالدين لابن الجوزي (٧٦).

(٢) صحيح مسلم ١٢٥٥/٣.

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٤١، ٥٥).

(٤) بر الوالدين للطبرطوشي (٧٧).

(٥) بر الوالدين للطبرطوشي (٧٨).

(٦) بر الوالدين للطبرطوشي (٧٧).

## الفصل الرابع:

### عرض وتحليل لبعض نصوص القرآن الكريم في بر الوالدين

لقد تعددت النصوص القرآنية التي تناولت الحديث عن بر الوالدين، حاء التنويه والبيان فيها بفضل الوالدين وبوجوب برهما والإحسان إليهما، إلا أنه ليس هناك نص في القرآن الكريم أشمل وأوسع وأدق يعادل هذا النص قوة ورسالة وسبكاً، والدلالة على أعظم الأشياء وبأقل الأشياء، وهو قوله تعالى:

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا، وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلِغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُوهما وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء ٢٢ - ٢٥)

لما ذكر ما هو الركن الأعظم وهو التوحيد أتبعه بذكر ما هو من شعائر الإيمان شرائطه مبتدئا ببيان عنايته بالوالدين وبيان حقوقهما ومكانتهما، فلقد أعظم هذا النص الكريم من حق الوالدين أيما إعظام، وأولى حقهما من الرعاية ما لم يولي أمراً آخر، حتى إنك لتجد التسامح في حق الله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن ١٦) و ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦)

أما عن حديثه في بيان حق الوالدين فقال: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ قوة الإلزام بهذين الواجبين، إذ جاء التعبير عن هذا التكليف بعبارة ﴿قضى﴾.

ومعلوم أن القضاء إذا كان في مجال التكوين كان لا بد من وقوعه حتماً، فلما جاء في مجال التكليف دل على شدة إلزام المكلفين به إلى أقصى حد، والمعنى:

أن الله أوجب وأمر أمراً جازماً وألزم إلزاماً وحكماً قطعاً وحثماً مبرماً<sup>(١)</sup>.  
وعن ابن عباس والحسن وقتادة: هو قضاء أمر وليس بقضاء حكم، وفي مصحف ابن مسعود وعند أبي بن كعب ﴿ووصى﴾ وهي قراءة ابن عباس وعلي وأصحاب عبد الله بن مسعود، أي: وصى عباده بعبادته وحده، والوصية كما نعلم شأنها في نفس من تربى على الإيمان أعمق وأبعد أثراً، لا سيما حينما تكون من صاحب نعمة ومن صاحب الأمر والتدبير وموجد الخلق أجمعين، فهي تحمل معنى الأمر وتحمل معنى الالتزام.

والقضاء يستعمل في اللغة على وجوه: فالقضاء بمعنى: "الأمر" كقوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ معناه أمر، والقضاء بمعنى: "الخلق" كقوله: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ (فصلت ١٢) يعني خلقهن، والقضاء بمعنى: "الحكم" كقوله تعالى: ﴿فأقض ما أنت قاض﴾ (طه ٧٢) يعني احكم ما أنت تحكم، والقضاء بمعنى: "الفراغ" كقوله: ﴿قضى الأمر الذي فيه تستقيان﴾ (يوسف ٤١) أي فرغ منه، ومنه قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت مناسككم﴾ (البقرة ٢٠٠) وقوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ (الجمعة ١٠) والقضاء بمعنى: "الإرادة" كقوله تعالى: ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (آل عمران ٤٧) والقضاء بمعنى: "العهد" كقوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ (القصص ٤٤)<sup>(٢)</sup>

ثم عدل إلى التعبير بالربوبية ﴿ربك﴾ والتعبير به دال على معنى الاستعلاء، وبضمير الكاف دال على معنى التشريف والتكريم، ليضعه العبد موضع الاعتناء والتنفيذ كما هو شأن أوامر الله فلا يغفل

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/٢٣،

(٢) أحكام القرآن للقرطبي ١٠/٢٣٧، روح المعاني ٥/٥٣.



كما أتى بالتهي في أسلوب الحصر والقصر الذي لا يشاركه فيه غيره:  
﴿الأتعبدوا إلا إياه..﴾ أي: بأن لا تعبدوا، وهذا أقوى في الدلالة من النهي  
المجرد، وهو يفيد النفي الذي لا يترك مجالاً للهروب أو التملص، فليس أمام  
الولد خيار تجاه الوالدين إلا الإحسان إليهما.  
ثم عدل إلى الخبر: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: وقضى بأن تحسنوا بالوالدين  
إحساناً، أو وأحسنوا بهما إحساناً.

والباء في قوله: ﴿وبالوالدين﴾ تفيد الإلصاق، أي كن أنت جزءاً من  
إحسانك لوالديك، بكل حركاتك وسكناتك وهَوَاك وأحاسيسك، فينبغي أن  
تجعلها مادةً لهذا السبر الذي لا حدود له.

ثم قدم العلة وهي: (الوالدية) لأنها هي التي تثير شفقتك، فلم يقل: (بمن  
أنجباك ولا بأبويك) والوالدية حق مطلق للوالدين لا يدعيه أحد، ولا يباع ولا  
يشترى، وقد يحصل التبني لمن لم يُخَلَّف لكي يفرغ هذه الغريزة<sup>(١)</sup> فيكون هناك  
من يحسن إليه ويعطف عليه، ولكن في بعض اللحظات لابد أن يتميز ما هو  
مقلد من ما هو أصلي، فإن فكر فيه فأراً لم يفكر فيه ليلاً، وإن حذب عليه في  
صغره لم يوله رعاية في كبره، وفي النهاية يقول: إنما أنا مُتَّبِي، لكن الوالد بعكس  
هذا تماماً.

وعبر بلفظ التنكير، وأتى به مصدراً مقلماً بالباء ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ التنكير  
يدل على التعظيم، أي: أحسن أيما إحسان، فخرج المصدر من لزوم الزمان  
والمكان، فتحسن أي نوع يطلق عليه إحسان، وأقل ما في ذلك ما روي عن ابن

(١) أو قد يمكن الإنجاب بغير عملية الجماع، والوقاع بين الزوجين مثل: إدخال منى الرجل في  
رحم المرأة بأي وسيلة كان وشبهه فيحصل الإنجاب.

عباس رضي الله عنهما: لا تنفض ثوبك أمامهما فيصيبهما الغبار<sup>(١)</sup>  
أسلوب القرآن عجيب حيث عبر بالباء: ﴿وبالوالدين﴾ ولم يقل: "وللوالدين  
...أو إلى الوالدين..". ومثله: ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾ (يوسف ١٠٠)  
ولماذا لم يقل: "وقد أحسن إلي" كأنه أراد أن إحسانه كان شاملاً عاماً محيطاً به  
في شتى جوانب حياته سراً وعلناً شدة ورخاء.

أما لو قال: "أحسن إلي" أي: وصل إحسانه إلي في بعض الجوانب،  
فالمراد: أحسن بوالديك إحساناً<sup>(٢)</sup>.

وقدم ما حقه التأخير. حيث لم يقل: "وإحسانا بالوالدين" لنكتة بلاغية<sup>(٣)</sup>  
وهي شدة الاهتمام والعناية ولفت الأنظار، كأنه أراد أن يكون الإحسان حالاً  
ومقالاً لفظاً وسلوكاً إقبالاً وإدباراً.

﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾ وفي قراءة: ﴿إما يبلغان﴾ "إما" مركبة من "إن"  
الشرطية و"ما" الإهامية لتأكيد معنى الشرط، ثم أدخلت نون التوكيد في الفعل  
لزيادة التقرير، كأنه قيل: إن هذا الشرط مما سيقع البتة عادة، بهذه العبارة العميقة  
والصورة الموحية يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة وذكرى الطفولة  
ومشاعر الحب والعطف والحنان في قلوب الأبناء الجميل المقبل.

ونلاحظ هنا تأكيداً لفريضة الإحسان في هذه الحالة وهي حالة "الكبر"،  
فإن الكبر له جلاله، وضعف الكبر له إجاؤه، ليلتفت الأبناء إلى الجميل  
الذاهب المولي في أدبار الحياة وقد قدم تجارب عمره وسكب عصارة قلبه ورحيق

(١) بر الوالدين لابن الجوزي (٢٩).

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٨٧/٢٠.

(٣) حيث قدم الجار والحرور " شبه حملة وبالوالدين" وحقه التأخير عن العامل " المصدر  
إحسانا " وحقه التقديم.

حياته وضحي بكل شيء حتى بالذات، وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فُتاتٌ، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشرة، كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين، فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلهما الأجل - وهما مع ذلك سعيدان <sup>(١)</sup>.

ثم يأخذ السياق في استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان في قلوب الأبناء فيذكرهم بالعندية: ﴿عندك﴾ قدمه على المفعول مع أن حقه التأخير عنه، لكي تتأمل هذه الكلمة قليلاً، ما أجملها وما أعظم وقعها على نفس الإنسان، إنها لتصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف والشيخوخة، وليستشير فيك ذكريات العندية التي كانت وأنت عندهما في أول العمر، فالآن هما عندك في آخر العمر، لكن بصورة أخرى بصورة "الكبر" بكل ما توحى به صورة الكبر من: ضعف، وصمم، وعمى، وفكر ثقيل، وغربة في وسط جيل جديد، وغرابة تصرف، والضيق لأتفه الأسباب.

وخص حالة "الكبر" لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى برّه لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فالنرم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، لأنهما في هذه الحالة قد صاروا كلاً عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليها منه.

ثم لتأكيد القيام بفريضة البر والإحسان يلفت النظر منبهاً: ﴿أحدهما أو كلاهما﴾ لينفي عذر التقصير والتواني سواء على انفراد أو اجتماع على حد سواء دون استئصال ولا ملل ولا انتقاص، ليلا أو فمارة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وفيه ما فيه من قوة الإلزام في الأمر

(١) في ظلال القرآن ٤/٢٢٢١.

فأعطاك الصورة الكلية ثم بدأ يفصل لك الأمر والنهي، وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب، ألا يبدو ويظهر من الولد ما يدل على الضجر والضيق، وما يعبر عن الإهانة وسوء الأدب، لا سيما طول المكث يوجب الاستئصال ويبعث على الملل، فوجب أن يُذكر الوليد بمقابلة ذلك كله بالقول الموصوف بالكرامة فقال: ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ أي لا تقل لواحد منهما في حالتي الاجتماع أو الانفراد، ثمك عن أقل الأشياء، والنهي عما فوقها من باب أولى، ولو علم الله أردأ من "الأف" لذكره في كتابه العزيز.

ذكر القرطبي عن علي ؑ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو علم الله من العقوق شيئاً أردأ من "أف" لذكره، فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

والعجيب عندما ننظر في معنى: "الأف" نجد يشتمل على معاني كثيرة، والمعنى: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم أو رفض<sup>(٢)</sup>.  
وعن عروة عن أبيه رضي الله عنهما ﴿ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ قال: لا تمنعهما شيئاً أراداه أو قال أحباه<sup>(٣)</sup>.

وعن الحسن أنه سئل عن بر الوالدين فقال: أن تبذل لهما ما ملكت، وتطيعهما ما لم يكن معصية<sup>(٤)</sup>.

(١) أحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/١٠، قال في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: (فإن سأغفر لك) و بلفظ: (فإن لا أغفر لك) ٦٣٣/٢، وانظر بر الوالدين للطرطوشي (٥٤).

(٢) وقيل: هو الشيء الحقيق المرفوض مطلقاً، أحكام القرآن للقرطبي ٢٤٢/١٠، وانظر تفسير الفخر الرازي ١٨٩/٢٠

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٦/٨، وانظر بر الوالدين لابن الجوزي (٤٠).

(٤) بر الوالدين لابن الجوزي (٤٠).

وعن طيلة قال قلت لابن عمر رضي الله عنهما: عندي أمي قال: والله لو ألفت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر<sup>(١)</sup>

وعن مجاهد ﴿فلا تقل لهما أف﴾ لِمَا تحيط عنهما من الأذى الخلاء والبول، كما كانا لا يقولانه فيما كانا يميطن عنك من الخلاء والبول.

قال الفراء: تقول العرب فلان يتأفف من ريح وجدها أى يقول: أف أف.

وقال الأصمعي: "الأف" وسخ الأذن، و"الثف": وسخ الأظفار، يقال ذلك عند استقذار الشيء، ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون به.

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي أن الأفف: الضجر.

وقال القتيبي: أصله أنه إذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل: "أف" ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل إليهم.

وقال الزجاج: معناه التنن.

وقال أبو عمرو بن العلاء: "الأف": وسخ بين الأظفار، و"الثف": قلامتها<sup>(٢)</sup>

وإنما صار قوله: "أف" للأبوين أردأ شيء، لأنه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد الوصية التي أوصاه في التنزيل.

والحاصل أنه اسم فعل ينبئ عن التضجر والاستئفال، أو صوت ينبئ عن ذلك، فنهى الولد عن أن يظهر منه ما يدل على التضجر من أبويه أو الاستئفال لهما، بهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيها بفحوى الخطاب أو بلحنه كما هو متقرر في الأصول.

(١) بر الوالدين لابن الجوزي (٤٠).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/١٠، وانظر تفسير الفخر الرازي ١٨٩/٢٠.

﴿ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ تدرج ليتضمن لسان الحال والمقال، تراكيب قرآنية عجيبة ذات دلالات واضحة وصریحة، لا تدع للمرء فكاكاً من هذا الواجب العظيم الذي يلقي بكلكله على كاهل كل ولد نحو والديه.

﴿ولا تنهرهما﴾ النهي: الزجر والغلظة، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزره، أي: لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، أو لا تكلمهما ضجرا صائحا في وجوههما.

عن عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يدك عليهما<sup>(١)</sup>

ثم أرشد الله تعالى إلى ما يجب مقابل ذلك فقال: ﴿وقل لهما﴾ أي: بدل التأنيف والنهر ﴿قولا كريما﴾ أي: هميلا لينا لطيفا أحسن ما يمكن التعبير عنه من لطف القول وكرامته مع حسن التأدب والحياء والاحتشام والنزول على المروءة، وهي مرتبة أعلى إيجابية.

أما تكفي عبارة واحدة تؤدي الغرض وتفي بالمطلوب؟ ولكن تكرر الأمر والنهي، ولا شك أن ذلك لسر قرآني بليغ: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ ففي الأف وهو صورة للقول الكريم.

﴿ولا تنهرهما﴾ النهي عن النهي يقابله القول الكريم ضمنا، وبعد هذا ﴿وقل لهما قولا كريما﴾ فلما هذا التكرار؟ لا شك أن كل كلمة لها دلالة عظيمة. وإذا جاء الأمر بالشيء ثم قابله شيء عن ضده فإنه أبلغ وأكد في الدلالة عليه، كما تقول: قم ولا تقعد.

فما هو النهي في حق الوالدين؟ هل هو بالمقال و برفع الصوت؟ هل هو بالحال وبإشاحة الوجه؟ هل هو بفتح العينين "فرصة العينين" و حذ النظر؟ هل

(١) بر الوالدين لابن الجوزي (٣٠).

هو الإعراض والتبرم؟

كل هذا من النهرا!

وعن أبي سعيد قال: قلت للحسن: إلى ما ينتهي العقوق؟ قال: أن تحرمهما وتمجرهما وتحذ النظر إلى وجه والديك<sup>(١)</sup>.

وقال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: ما برّ والدّه من شد الطرف إليه<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض العلماء: من قرّ أباه طال عمره، ومن قرّ أمه رأى ما يسره، ومن أحد النظر إلى أبويه عقهما<sup>(٣)</sup>

﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ على سبيل الجمع والانفراد، الله جل وعلا إذا وصف الشيء فاعلم أن الوصف لو اجتمع من في الأرض على كُنْهه لم يستطيعوا، لأن الوصف على قدر الواصف وليس على قدر من وُصِف له، فكيف والواصف هو الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

فما هو القول الكريم هذا؟

البعض قال: - تفخيماً لشأنه - لا أعرفه، لأن الواصف هو الله، هذا القول

الكريم في أي صورة، في أي هيئة، في الألفاظ في الأسلوب في أي جانب؟

بعضهم قال: بحثت عنه في ثمانين موضعاً فلم أعر عليه.

وشبهه بعضهم بحال ومقال العبد الآبق لسيدته، فهذا يشبه القول الكريم<sup>(٥)</sup>.

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٨ / ٣٥٣.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٨ / ٣٥٥. وانظر بر الوالدين لابن الجوزي (٣٩).

(٣) بر الوالدين للطرطوشي (٧٨).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ القلم (٤) خلقاً عاماً شاملاً واسعاً، لا يحاط

بعلمه، فهو خلق يتناول الزمان والمكان وكل المخلوقات.

(٥) وصورة ذلك: عند هرب أو أبق من سيده، وظل سيده يبحث وبذل قصارى جهده في =

وقال بعضهم: أن تخاطب والديك بما يسعدهما فلا تكتبيهما، وتتوحي شهواتكما ولا تسيء إلى ما يحبانه، واستعمال الأدب والهيبه لهما، واصبر على ما يكره مما يصدر منهما<sup>(١)</sup>

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو أن يقول: يا أبتاه يا أماه، ويا والدي- كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: يا أبت.

وعن طاووس عن أبيه قال: من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، قال ويقال: إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه<sup>(٢)</sup>.  
وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال: هو قول العبد المذنب للسيد الفظ<sup>(٣)</sup>.

ثم أتى بما يفيد المبالغة في التواضع: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ وهنا يشف التعبير ويلطف، ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان فيصبح ما ليس بمرئي مرئيا، أي: لتكن أنت كلك ذللاً أمامها حتى لا تمتنع من شيء أحبها، فلينخفض جناحك، فالتائر من ترفقه بصغاره يخفض جناحيه ويهزهما وهو يطعم فراخه، فأنت اخفض جناحك لوالديك رحمة بهما لا لغرض آخر  
ذكر بعضهم في معنى خفض الجناح وجهين:

= ذلك حتى لحقه من جراء البحث عناء ونصبا لا يوصف، فإذا به فجأة عثر ووقف على عبده الآبق، فتصور ماذا يكون حال السيد هنا في هذا الموقف، وماذا يكون حال العبد في هذا الموقف؟

(١) البر والصلة لابن الجوزي (٥٣).

(٢) مصنف عبدالرزاق ١١/١٣٧، وانظر بر الوالدين لابن الجوزي (٣٩، ٤٠).

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٠/١٩٢، بر الوالدين لابن الجوزي (٣٠) روح المعاني ٥/٥٦.



الأول: أن الطائر إذا أراد ضم فراخه إليه للتربية خفض لها جناحه، فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير، فكأنه قال للولد أكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك في حال صغرك.

والثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه، وإذا أراد النزول خفض جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن التواضع وترك الارتفاع. وفي إضافة الجناح إلى الذل وجهان:

الأول: أنها كإضافة حاتم إلى الجود في قولك: حاتم الجود، فالأصل فيه الجناح الدليل.

والثاني: سلوك سبيل الاستعارة كأنه تخيل للذل جناحا ثم أثبت لذلك الجناح خفضا .

وهذه الرائعة البيانية هي من قبيل الاستعارة التخيلية، لأن المشبه به وهو الطائر قد حُذِفَ ورمز إليه في الاستعارة ببعض خواصه وهو الجناح، ومعلوم أن الاستعارة من روائع الأساليب البيانية.

فقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ يحمل من الأثر في أنفس السامعين ما لا يحمله قول آخر كقولنا: واخضع لهما وارحمهما تذلل لهما أو نحو ذلك، فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينا ولا يرفض أمرا، وكأنها للذل جناح يخفضه إيدانا بالسلام والاستسلام<sup>(١)</sup>.

﴿من الرحمة﴾ تقييدٌ يُفيدُ الغاية والنهية في المقصود، ولفظ "الرحمة" جامع لكل الخيرات في الدنيا والدين.

والمعنى: ليكن خفض جناحك لهما بسبب فرط رحمتك لهما وعطفك

(١) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/٢٥.

عليهما بسبب كبرهما وضعفهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، ولا تبخل برحمتك عليهما التي لا بقاء لها، وادع الله بأن يرحمهما برحمته الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتكما عليك في صغرك وتربيتكما لك.

ثم تذكير بأنه لا تكنف برحمتك التي لا دوام لها ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ ولكن توجه إلى الله أن يرحمهما برحمته الواسعة الشاملة، وأن يرحمهما برعايته الشاملة وأن يحفظهما بحفظه، مثل تربيتكما لي أو مثل رحمتكما لي، وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبيهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء: ﴿كما ربياني صغيراً﴾ إشعار بأن هذا الإحسان اليسير من الوليد، إنما هو مقابل إحسان سابق عميم جزيل من الوالدين، إذ وليك صغيراً جاهلاً محتاجاً، فأثرا على أنفسهما وأسهرها ليلهما، وجاعاً وأشبعك، وتعرياً وكسواك، فتلي منهما ما وليا منك ويكون لهما حينئذ فضل التقدم والسبق، ولا شك أن في الإحسان ابتداءً أبلغ وأجزل، وقد قيل: إن البادئ بالبر لا يكافأ.

﴿كما ربياني﴾ أي: رحمة مثل تربيتكما لي أو مثل رحمتكما لي، أو "الكاف" للمقارنة أي: فلتقع هذه كما وقعت تلك التربية والسمية، أو "الكاف" للتعليل أي: لأجل تربيتكما لي كقوله: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ (البقرة 198)

وخص الله تعالى التربية بالذكر، لبيان عظيم مكانة التربية التي ترشد إلى الله تعالى وليان عظيم منة الوالدين بالقيام بها إذ لولاها لكان الوليد كسائر الأنعام، ولعل هذه التربية تذكر الوليد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية .

ولقد أوضح الهادي البشير مربي الإنسانية ومعلم البشرية ﷺ عجز الأولاد عن مكافأة والديهم مهما بذلوا من جهد وتضحية، ومهما تفاعلوا في ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولد

والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتره فيعتقه»<sup>(١)</sup>.

ولعظم هذا الحق نجد أنه يستمر تكليف المرء به حتى بعد وفاة والديه، فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما - أي: الدعاء لهما - والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»<sup>(٢)</sup>.

وعن بعض التابعين: من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما، لأن الله تعالى قال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَدِي إِلَى الْمَصِيرِ﴾ فشكر الله أن يصلي في كل يوم خمس مرات، كذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما في كل يوم خمس مرات<sup>(٣)</sup>.

فينبغي أن يكثر الوليد من الدعاء لوالديه والاستغفار لهما حال حياتهما وبعد موتهما، فيدعو لهما بالمغفرة على إثر كل صلاة، كما لا يرفع صوته عليهما، ولا ينظر شزراً - غضباً - إليهما، ولا يريا منه مخالفة في ظاهر ولا باطن، وأن يترحم عليهما ما عاشا، ويدعو لهما إذا ماتا، ويقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فإن ذلك من تمام البر.<sup>(٤)</sup>

ثم وعد ووعيد: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ أي: بما في ضمائرکم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات ومن التوبة من الذنب الذي فرط منكم أو

(١) سنن أبي داود ٣٣٥/٤، وسنن الترمذي ٣٢/٦ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) سنن أبي داود ٣٣٦/٤، وسنن ابن ماجه ٣٠٩/٢.

(٣) تنبيه الغافلين (٥٢).

(٤) انظر الكشف ٦٣٤/٢.

الإصرار عليه، ويندرج تحت هذا العموم ما في النفس من السبر أو العقوق اندراجاً أولياً ﴿لَنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ ذيل الله تعالى حديثه عن بر الوالدين بهذا الوعد المتضمن للوعيد، ومعناه: أن من علامات الصلاح بر الوالدين، فمن عرف بير والديه جاز وصفه بالرجل الصالح، كما أن من يقوم الليل يوصف بـ "نعم" الرجل، وصفة الصلاح لم تأت إلا بعد هذا العرض العجيب، ومفهوم المخالفة يوضح أن عاق الوالدين غير صالح.

والعجيب أن القرآن الكريم عندما عرض بعض حقوق النبي ﷺ فضمنه شيء من الوعيد والتهديد فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات ٢)

أما في حق الوالدين فنجد الأمر عجيباً، فقد عرض القرآن الكريم بالنسبة للوالدين لقضايا في داخل النفس ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِكُمْ﴾. فلا يكاد يخلو الإنسان عن التقصير والخطأ، وهذا من لطف الله بالأبناء وبالآباء أيضاً، فالله تعالى قد أحاط علمه بخفايا النفوس وأحوال القلوب، وهو عالم بجميع الأقوال والأعمال، فإن ظهر من الأبناء تقصير في حق الأبوين فهو عالم به، أو بدرت من الأبناء هفوة لكنها غير مقصودة ولا لأجل العقوق، بل صدرت بمقتضى الجيلة البشرية كانت محل العفو والغفران، وهذا فتح الإسلام للبر كل طريق، وسد على العقوق كل منفذ<sup>(١)</sup>.

وقيل: أنه قصد التهديد لمن أظهر برهما وأضمر لهما كراهة واستئقلا، والمعنى: أن الله لا يخفى عليه ما تضررونه في أنفسكم من الإخلاص وعدمه ومجازيكم على ذلك.

(١) انظر أحكام القرآن للقرطبي ٢٤٦/١٠.

﴿إنه كان للأوابين غفورا﴾ بمعنى أن هذه الأعمال إن كانت صادرة من قلوبكم فلکم الثواب عند الله والأجر العظيم، فلم يعبر بالوعيد، ليكون البر والإحسان إيمانا واحتسابا، فالآية فيها حث للمقصرين في حق آبائهم على التوبة والمبادرة إلى تلافي تقصيرهم، كما أن فيها حث للآباء بأن يتسامحوا مع أبنائهم بالإغضاء عن بعض تقصيرهم وهفواتهم، وأن يكونوا عوناً لأبنائهم على برهم والإحسان إليهم.

هذه الأسباب الكثيرة التي حثت على بر الوالدين وبينت مكانتهما، هذا كله لمن صبغه الله بصبغة الإسلام، ودخل في دائرة المؤمنين، فالله جل وعلا بعد كل ما أورده من أساليب وعرض، جعل الأمر وصية، وإنما ينفذ الوصية المؤمن.



## الفصل الخامس: التحذير من عقوق الوالدين

إن عناية الوالدين بالوليد تفوق التصورات وتتجاوز حدود الإمكانيات، فمن حين تستقر النطفة في قرارها إلى الولادة فإنما الحديث كله: "إياك إياك" حذرا على النطفة، فلا يكون الطعام إلا ما يثبت النطفة، ومن أجله تترك الأم الشهوات اللذيذة، وتعزل الأشغال الضرورية، ولا يُحْمَل بعد الولادة من الأطعمة إلى المنزل إلا ما يلائم المولود، ثم ينتصبان لتربيته، ولا يزالان يطلبان رضاء الوليد مجلب المنافع ودفع المضار وصرف أسباب الحزن، فلما ترعرع الوليد وبلغ الغاية والسن المأمول فإذا به يقابل كل هذا الإحسان بالإساءة، وكل هذا الوصل بالقطيعة، وكل هذا العطف والشفقة بالغلظة، وكل هذه المحبة بالجفوة، وكل هذا البذل والعطاء بالحرمان والبخل. كان الجزاء مكافأتهما ولو كافأتهما كان ذلك منك ردا لبعض الجمائل دون الوصول إلى درجة الشكر.

وإن جهل الإنسان بحقوق المعتم من أحسن صفاته، فإذا أضاف إلى جحد الحق المقابلة بسوء الأدب دلّ على خبث الطبع ولؤم الوضع وسوء المنقلب، وليعلم البار أنه مهما بالغ في برِّ الوالدين فإنه لم يَفِ بشكرهما، فإن الشكر زيادة على المعاوضة، فواعجبا لهذا الميزان الناقص والجزاء الفاضح، ومن هنا خص القاطع أن يوصف "عاقا" بأقبح لقب لما يحمل العقوق من معنى: الشق والقطع<sup>(١)</sup>

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة». وفي رواية: «رغم أنف رجل أدرك أبويه عند الكبر أو

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ٢/١٠٤.

أحدهما فلم يدخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أحضروا المنبر، فلما خرج إلى المنبر فرقي أول درجة منه قال: آمين، ثم رقي في الثانية فقال: آمين، ثم لما رقي في الثالثة قال: آمين، فلما فرغ ونزل من المنبر، قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه منك؟ قال: أو سمعتموه؟ قلنا: نعم، قال: إن جبريل عليه السلام اعترض قال: بُعد من أدرك رمضان فلم يغفر له، فقلت: آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بُعد من ذُكِرَتْ عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة، قال: بُعد من أردك عنده أبواه الكبر أو أحدهما فلم يدخله الجنة، قلت: آمين»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين..» الحديث<sup>(٣)</sup>.

وعنه ﷺ أنه قال: «كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء فيها إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجل لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات»<sup>(٤)</sup>.  
وذلك لتوفر أسباب دخول الجنة دون مشقة أو عناء وهو بره بوالديه.  
وعن زرعة أن رجلاً أتى عمر فقال: إن لي أما بلغ بها الكبر أفما لا تقضي

(١) صحيح مسلم، ١٩٧٨/٤، وانظر تفسير ابن كثير ٣/٣٤.  
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٤، وانظر جلاء الأفهام لابن قيم ص (٧٤) مجمع الزوائد ١٠/١٦٤، بر الوالدين للطرطوشي (٦٥) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٠).  
(٣) صحيح البخاري/٤٠٥.  
(٤) المستدرک وقال: صحيح الإسناد ٤/١٥٦، وانظر الترغيب والترهيب ٣/٣٣١، بر الوالدين لابن الجوزي (٦٣).

حاجتها إلا وظهري لها مطية أَوْصَتْهَا وَأَصْرَفَ وَجْهِي عَنْهَا، فَهَلْ أَدَيْتَ حَقَّهَا؟  
قال: لا، قال: أليس قد حملتها على ظهري وحبست عليها نفسي؟ قال: إنما كانت  
تصنع ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنع ذلك وأنت تتمنى فراقها<sup>(١)</sup>

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «من أمسى مرضياً  
لوالديه وأصبح، أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة، وإن واحداً  
فواحداً، فقال رجل: يا رسول الله وإن ظلماً؟ قال: وإن ظلماً وإن ظلماً وإن  
ظلماً»<sup>(٢)</sup> وفي رواية: «ما من أحد يكون له والدان أو أحدهما فيبيتان عليه  
ساخطين إلا فتح له بابان من النار وإن كان واحداً فواحد...»<sup>(٣)</sup>.

وعن معاذ ﷺ قال: أوصاني رسول الله ﷺ فقال: «لا تعقن والدك وإن  
أمراك أن تخرج من أهلك ومالك»<sup>(٤)</sup>

وعن إسماعيل بن أمية ﷺ قال: قال رجل: أوصني يا رسول الله. «قال: لا  
تشرك بالله شيئاً وإن حرقت أو نصفت قال: زدني يا رسول الله. قال: بر والدك،  
ولا ترفع عندهما صوتك، وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما» الحديث<sup>(٥)</sup>.

وعن فضيل بن عياض: أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل<sup>(٦)</sup>  
وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات

(١) البر والصلة لابن الجوزي (٣٥).

(٢) انظر بر الوالدين للطرطوشي (٦٣) وأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٥/١٠.

(٣) مصنف عبد الرزاق ج ١١/١٣٥.

(٤) مسند أحمد ٢٣٨/٥، وانظر بر الوالدين لابن الجوزي (٣١) والترغيب والترهيب

٣٢٩/٣، قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات بجمع الزوائد ٢١٥/٤.

(٥) مصنف عبد الرزاق ١٣٢/١١، وانظر البر والصلة لابن الجوزي (٤٢).

(٦) الكشاف ٦٣٤/٢.



لا شك فيه: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»<sup>(١)</sup>.  
وعن مجاهد يرويه قال: «لا يدخل الجنة عاق، ولا منان، ولا مدمن  
الخمير، ولا من أتى ذات محرم، ولا مرتداً أعرابياً بعد الهجرة»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم  
يوم القيامة: العاق لولديه، ومدمن الخمير، والمنان بما أعطى»<sup>(٣)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أبي  
أخذ مالي، فقال النبي ﷺ للرجل: فأتني بأبيك، فنزل جبريل عليه السلام على  
النبي ﷺ فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ  
فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلما جاء الشيخ قال له النبي  
ﷺ: ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال: سله يا رسول الله وهل  
أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي! فقال له رسول الله ﷺ:  
إيه، دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذنك، فقال  
الشيخ: والله يا رسول الله ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في  
نفسي شيئاً ما سمعته أذناي، قال: قل أنا أسمع قال قلت:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعا      تُعل بما أجني عليك وتُهل<sup>(٤)</sup>  
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت      لسقمك إلا ساهراً أتأمل

(١) سنن أبي داود ٨٩/٢، سنن الترمذي ٣١/٦، ومسند أحمد ٢٥٨/٢، بر والدين لابن  
الجوزي (٦٨).

(٢) مصنف عبدالرزاق ١٣٦/١١.

(٣) مسند أحمد ٦٩/٢، مجمع الزوائد ١٤٨/٨، والمستدرک ١٤٦/٤، والترغيب والترهيب  
٣٢٧/٣.

(٤) اليافع: هو من قارب الاحتلام

كأني أنا المطروق دونك بالذي      طرقت به دوبي فعيني تممُلُ  
تخاف الردى نفسي عليك وإيها      لتعلم أن الموت وقتٌ مؤجل  
فلما بلغت السن والغاية التي      إليها مدى ما كنتُ فيك أؤمل  
جعلت جزائي غلظة وفظاظة      كأنك أنت المنعم المتفضل  
فليتك إذ لم ترع حق أبوي      فعلت كما الجار المصاقبُ يفعل<sup>(١)</sup>  
فأوليتني حق الجوار ولم تكن      عليّ بمال دون مالك تبخلُ  
قال: فحينئذ أخذ النبي ﷺ بتلايبب ابنه وقال: أنت ومالك لأبيك<sup>(٢)</sup>.  
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أطيب ما  
أكلتم من كسيكم، وإن أولادكم من كسيكم»<sup>(٣)</sup>.  
وعن الحسن قال: «يأخذ الرجل من مال ابنه ما شاء»<sup>(٤)</sup>.  
وعن عمر رضي الله عنه قال: «إيكاء الوالدين من العقوق»<sup>(٥)</sup>.  
وعن مجاهد قال: لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده إذا ضربه، ومن شد  
النظر إلى والديه لم يبرهما، ومن أدخل عليهما ما يحزنهما فقد عقهما<sup>(٦)</sup>.  
وعن عطاء قال: ليؤاجر الرجل ابنه في العمل إذا كان أبوه ذا حاجة<sup>(٧)</sup>.

(١) أي إن لم تعطني حق الأبوة فأقل شيء عاملني معاملة الجار القريب الملاصق الذي قد كفاني شره.

(٢) أخرجه ابن ماجه مختصراً /٣٤، ومصنف عبدالرزاق، ١٣٠/٩، وانظر أحكام القرآن للقرطبي ٢٤٥/١٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٣٤/٢، وانظر بر الوالدين للطرطوشي (٩٩).

(٤) مصنف عبدالرزاق ١٢٩/٩.

(٥) بر الوالدين لابن الجوزي (٤٠).

(٦) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٦).

(٧) مصنف عبدالرزاق ١٢٩/٩.

وذكر الطرطوشي: أن من خاصم أباه وجاوبه في مجالس القضاء والفقهاء،  
وراجعه على مقتضى الخصومات فقد عقه<sup>(١)</sup>  
وعن الحسن قال: البر: الحب والبذل، والعقوق: الهجر والحرمان،  
ومنتهى القطيعة أن يجالس الرجل أباه عند السلطان<sup>(٢)</sup>  
وقال يزيد بن أبي حبيب: إيجاب الحجّة على الوالدين عقوق، أي  
الانتصار عليهما في الكلام<sup>(٣)</sup>  
وإن مما بلغ من شؤم العاق قول بعضهم: لا تصادق عاقا فإنه لن يسرك،  
وقد عق من هو أوجب منك حقا<sup>(٤)</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان جريج رجلاً عابداً، فاتخذ  
صومعة فكان فيها، فأنته أمه وهو يصلي - فوصف أبو هريرة لصفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أمه حين دعته كيف جعلت كفها فوق حاجبها، ثم رفعت رأسها إليه تدعوه  
- فقالت: يا جريج أنا أمك كلمني فصادفته يصلي، فقال: اللهم أمي وصلاتي،  
فاختار صلاته فرجعت، ثم عادت في الثانية، فقالت: يا جريج أنا أمك فكلمني،  
قال: اللهم أمي وصلاتي، فاختار صلاته، فقالت: اللهم إن هذا جريج وهو ابني  
وإني كلمته فأبى أن يكلمني، اللهم فلا تمته حتى تربيه المؤمنات<sup>(٥)</sup>، قال: ولو  
دعت عليه أن يفتن لفتن، قال: وكان راعي ضأن يأوي إلى ديره<sup>(٦)</sup>، قال:

(١) بر الوالدين للطرطوشي (٣٦).

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٧) والبر والصلة (١١٤).

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٧).

(٤) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٣).

(٥) أي: الزواني والبغايا المتجاهرات بذلك، شرح مسلم ٤١٣/٥.

(٦) الدير: مكان منقطع عن العمران يتعد فيه رهبان النصارى، شرح مسلم ٤١٣/٥.

فخرجت امرأة من القرية فوق عليها الراعي فحملت فولدت غلاماً، فقيل لها ما هذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير، قال فجاءوا بفؤسهم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يصلي فلم يكلمهم، قال فأخذوا يهدمون ديرهم، فلما رأى ذلك نزل إليهم، فقالوا له: سل هذه؟ - وفي رواية: فعرف أنها دعوة أمه، فقال: دعوني أصلي سجدتين، قال: فصلي سجدتين، فسأل الله أن يفرج عنه - قال فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: أبي راعي الضأن، فلما سمعوا ذلك منه قالوا: نبي ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة، قال: لا ولكن أعيدوه تراباً كما كان، ثم علاه»<sup>(١)</sup>.

وعن العوام قال: قلت لجاهد ينادي المنادي بالصلاة وينادي رسول أبي، قال: أجب أباك<sup>(٢)</sup>

وعن المنكدر والأوزاعي ومكحول: إذا دعاك أبوك وأنت تصلي فأجب<sup>(٣)</sup> ولعل هذا والله أعلم في النافلة في غير الفريضة، أو كان متسعا في وقت الفريضة.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله! ما حق الوالدين علي ولدهما؟ قال: هما جنتك ونارك»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فأضع ذلك الباب أو احفظه»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٧٦، ومصنف عبد الرزاق ١١/١٣٥.

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (٤١).

(٣) بر الوالدين لابن الجوزي (٤١، ٤٣).

(٤) سنن ابن ماجه ٢/٣٠٨.

(٥) سنن الترمذي وقال: حديث صحيح ٦/٢٤ وسنن ابن ماجه ٢/٣٠٩.

## الفصل السادس: صور من بر وإحسان السلف

لقد رسم الإسلام منهجاً كاملاً لحقوق الوالدين، بصورة لم تعهدها الإنسانية في حياتها من قبل، فتارة يربط هذه الحقوق بوجدانيته تعالى، وتارة يأمر الأبناء بالتزام أقصى حدود الأدب في معاملتهم للآباء، وتارة يجعله من باب الشكر، مقروناً بشكره تعالى.

ومن هذا المنطلق فقد أدرك السلف واجب بر الوالدين وفضل الإحسان إليهما، فقاموا به حتى قيام وخير وفاء، وضربوا مثلاً أعلى في ذلك، حتى غدوا مثلاً يقتدى بهم في ذلك، وعلى رأسهم كلهم إمام البارين وهادي البشرية ومعلم الإنسانية ومنه واليه تنتهي المكارم وبه تضرب الأمثال صلوات الله وسلامه عليه.

ومن ذلك أيضاً قصة النفر الثلاثة الذين كانوا يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوه بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحمت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه نأى بي الشجر<sup>(١)</sup>، فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجننت بالحلاب فقممت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون<sup>(٢)</sup> عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أبي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجه نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون

(١) أي: بُعد بي طلب المرعى. فتح الباري ٤٠٥/١٠.

(٢) أي: صياحهم وبكاءهم. النهاية ٤٠٥/٣.

منها السماء... ففرج الله عنهم... الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: جاءت امرأة إلى مخلد بن الحسن فقالت: إن ابني قد أسره الروم ولا أقدر على افتدائه فلو أشرت إلى من يفديه بشيء فليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار، فأطرق الشيخ مليا ودعاء بدعوات فلبثنا مدة فجاءة المرأة ومعها ابنها وأخذت تدعو له، وقال: حديثك يحدثك الشاب. فقال الشاب: كنت في يد بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى فبينما نحن نحجيء من العمل بعد المغرب انفتح القيد من رجلي فوق علي الأرض - ووصف للشيخ اليوم والساعة - فوافق الوقت الذي جاءت فيه أمه للشيخ ودعاؤهما له، فنهض الذي كان يحفظني فصاح علي وقال: كسرت القيد فقلت: لا إنه سقط، قال فتحير وأخبر صاحبه، فأحضر الحداد وقيدوني فما مشيت إلا خطوات حتى سقط القيد فتحيروا ودعوا رهبانهم فقالوا لي: لك والدة؟ قلت: نعم، قالوا: قد وافق دعاؤها الإجابة، أطلقك فلا نُقيدك، وزودوني واصطحبوني إلى ناحية المسلمين<sup>(٢)</sup>، ففي هذا دليل واضح على أن بر الوالدين سبب عظيم للنجاة من المكاره بأنواعها.

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير<sup>(٣)</sup> قال: «لما قدم أبو موسى الأشعري وأبو عامر رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ فبايعوه وأسلموا، قال - ﷺ -: ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟ قالوا: تركناها في أهلها، قال: فإنه قد غفر لها، قالوا: بماذا يا رسول الله!، قال: ببرها والدقما، قال: كانت لها أم عجوز كبيرة، فجاءهم النذير أن العدو يريدون أن يغيروا عليكم

(١) صحيح البخاري ٤٠٤/١٠.

(٢) بر الوالدين لابن الجوزي (٦٧).

(٣) معمر هو: بن راشد الأزدي ثقة ثبت فاضل تقرب التهذيب (٥٤١).

يحيى بن أبي كثير هو أبو نصر الطائي ثقة ثبت، يدللس ويرسل تقرب التهذيب (٥٩٦)

الليلة، فارتحلوا لتلحقوا بعظيم قومكم، ولم يكن معها ما تحمل عليه، فعمدت إلى أمها فجعلت تحملها على ظهرها، فإذا أعيت وضعتها، ثم الزقت بطنها بطن أمها، وجعلت رجلها تحت رجلي أمها من الرمضاء حتى نجت»<sup>(١)</sup>.

وعن بعض ولد زيد أنه كان لا يأكل مع أمه على مائدة، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها<sup>(٢)</sup>.

وكان طلق بن حبيب من العباد وكان يقبل رأس أمه وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالا لها<sup>(٣)</sup>، وكان ابن القاسم يقرأ الموطأ فقام طويلا فقيل له فقال: نزلت أمي فسألني حاجة فقامت فقامت لقيامها، فلما سعدت جلست<sup>(٤)</sup>.

وكان الفضل بن يحيى الوزير من أبر الناس بأبيه فبلغ من بره أنهما كانا في السجن، وكان يحيى لا يتوضأ إلا بما ساخن فمنعهما السجن من إدخال الحطب في ليلة باردة، فلما نام يحيى قام الفضل إلى قُمُمة وملاها ماء ثم أدناه من المصباح ولم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح.

وفي اليوم التالي أدرك السجن ما فعل الفضل فمنعه من الاستصباح في الليلة القابلة، فوضع الفضل الإناء على أحشائه وانثنى عليه حتى أصبح وقد فتر الماء بحرارة جسده<sup>(٥)</sup>.

واستقت أم ابن مسعود ﷺ ليلة فذهب فجاء بشربة، فوجدها قد ذهب بها النوم فثبت بالشربة عند رأسها حتى أصبح<sup>(٦)</sup>.

(١) مصنف عبد الرزاق ١١/١٣٣.

(٢) بر الوالدين للطرطوشي (٧٦).

(٣) بر الوالدين للطرطوشي (٧٨).

(٤) بر الوالدين للطرطوشي (٧٨).

(٥) بر الوالدين للطرطوشي (٧٨) بر الوالدين لابن الجوزي (٥٣).

(٦) بر الوالدين لابن الجوزي (٥٤).

## خاتمة

من خلال عرضنا لموضوع: «بر الوالدين في القرآن الكريم» نستنبط ما

يلي:

إن إصلاح المجتمعات من أهم المقاصد الشرعية والإنسانية، وإن الموضوعات التي تتعلق بالمجتمعات وتخدمها مباشرة، لها قيمتها العلمية ومترلتها الامتيازية على غيرها.

إنّ هذه الحياة الدنيوية إنما هي بمثابة مزرعة وتمهيد للحياة الأخرى الحياة الحقيقية بما في ذلك بر الوالدين.

يتفق النقل والعقل على وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما.

يتضح من خلال ما سبق أن برُّ الوالدين فريضة لازمة، وعقوقهما محرم بنص الكتاب والسنة، فاختر القرآن الكريم - احتياطاً لحقهما - من الألفاظ ما يدل على مقصوده بما لا يحتمل أي معنى آخر سوى النهي عن العقوق، وفي جانب البر كذلك.

إنّ الفطرة الإنسانية السليمة لتشعر أن صاحب المعروف يجب أن يكافأ، كيف وقد استوجبت بر الوالدين موجبات ومسببات لا تدع للمرء فكاًكاً من هذا الواجب العظيم

إن بر الوالدين من أهم الواجبات السلوكية بعد واجب التوحيد فقد قرّن الله تعالى حقه بحقهما.

إنّ العقوق قبل أن يكون معصية فهو نكران للجميل وإنكار للفضل وكفران للمعروف



إن مبدأ الإحسان للوالدين مبدأ ثابت ولو كانا كافرين، ولكن يجب ألا يكون على حساب حق الله، وأن المهيمن على هذه الوصية هي وشيخة العقيدة. إن تربية الناشئة على بر الوالدين منذ الصبي من أهم المبادئ التي يجب الاعتناء بها ليكون ذلك مطبوعاً بطابع الإخلاص والصدق.

هذا وقد صدق الإمام مسلم رحمه الله حين قال: «لا يستطيع العلم براحة الجسم»<sup>(١)</sup> فإنني قد بذلت جهداً كبيراً في جمع وترتيب وتنسيق مادة هذا البحث القيم المبارك، ولا أدعي العصمة والكمال، ولا عدت أخاً كريماً فاضلاً نصوحاً ستر النزلة وأسدى النصيحة، وأسأل الله العفو والعافية والإخلاص والمتوبة والنفع، وأن يجعله في ميزان حسنات والدي إنه سميع قريب مجيب الدعوات رب العالمين، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) صحيح مسلم ٤٢٨/١.

## فهرس المراجع والمصادر

### القرآن الكريم.

١. الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني.
٢. أعلام الحديث شرح صحيح البخاري للخطاي ط ١ ١٤٠٩ هـ تحقيق د محمد بن سعد آل سعود.
٣. بر الوالدين ما يجب على الوالد لولده وما يجب على الولد لوالده، لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٣/١٤١١ هـ
٤. بر الوالدين لأبي الفرج ابن الجوزي تحقيق محمد عطا، ط ١ ١٤٠٨ هـ مؤسسة الكتب الثقافية
٥. البر والصلة لأبي الفرج ابن الجوزي تحقيق عادل عبد الموجود ط ١ ١٤١٣ هـ مكتبة السنة
٦. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي تصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف ط ٣ ١٣٩٩ هـ دار الفكر
٧. الترغيب والترهيب لعبد العظيم المنذري ضبط وتعليق مصطفى محمد عمارة ط ٣/١٣٨٨ هـ مطبعة الحلبي.
٨. التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد لابن عبد البر النمري ط المغرب.
٩. تبيين الغافلين لنصر بن محمد السمرقندي إشراف وتقديم خليل الميس دار القلم بيروت.
١٠. تفسير القرآن العظيم لابن كثير نسخة مصححة على نسخة دار الكتب المصرية دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٨ هـ.
١١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي وزارة الثقافة نشر دار الكاتب العربي للطباعة القاهرة ١٣٨٧ هـ.
١٢. جامع البيان للطبري ط ٢ ٣٧٣ هـ مصطفى الباي
١٣. جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام لابن قيم الجوزية ضبط مشهور آل سلمان ط ١، ١٤١٧ هـ دار ابن الجوزي.
١٤. روح المعاني للألوسي دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ.
١٥. سنن أبي داود مراجعة وضبط محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر
١٦. سنن الترمذي ط ٣ ١٣٩٩ هـ دار الفكر عبد الوهاب عبد اللطيف.
١٧. سنن النسائي المطبعة الأزهرية بمصر.
١٨. سنن ابن ماجه تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.
١٩. شرح مسلم للنووي تحقيق عبد الله أحمد أبو زينه دار الشعب.
٢٠. الصحاح للجوهري تحقيق احمد عبد الغفور عطار ط ٢، ١٣٩٩ هـ القاهرة.

٢١. صحيح البخاري ضبط محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب المكتبة السلفية دار الفكر.
٢٢. صحيح الجامع الصغير للألباني المكتب الإسلامي تحقيق زهير الشاويش ط ٣، ١٤١٠هـ.
٢٣. صحيح مسلم ضبط محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة دار احياء الكتب العربية.
٢٤. ضعيف الجامع الصغير للألباني المكتب الإسلامي تحقيق زهير الشاويش ط ٣، ١٤١٠هـ.
٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر المكتبة السلفية دار الفكر.
٢٦. فتح القدير للشوكاني دار الفكر ط ٣ / ١٣٩٣هـ.
٢٧. في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق القاهرة
٢٨. الكشاف للزمخشري ط ١، ١٤١٥هـ ترتيب محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية بيروت.
٢٩. لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت.
٣٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين الهيثمي على بن أبي بكر نشر دار الكتاب.
٣١. المستدرک على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية محمد أمين دمج.
٣٢. التلخيص على المستدرک نحمد بن أحمد الذهبي بذيل المستدرک نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية محمد أمين دمج.
٣٣. مسند أحمد ترتيب رياض عبد الله عبد الهادي ط ٢ ١٤١٤ هـ دار أحياء التراث العربي.
٣٤. المصنف لعبد الرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط ٢ ١٤٠٣ هـ المكتب الإسلامي.
٣٥. مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي ١٤٠٦ هـ
٣٦. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لمحمد بن ضياء الدين الفخر الرازي دار الفكر.
٣٧. معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي على مختصر المنذري تحقيق محمد الفقي طبعه الملك خالد آل سعود مكتبة السنة الخمدية
٣٨. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد ابن فارس ط ١، ١٤٢٠ هـ دار الكتب العلمية توزيع الباز.
٣٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نحمد فؤاد عبد الباقي
٤٠. المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس ورفاقه ط ٢.
٤١. مفردات ألفاظ القرآن للراغب تحقيق صفوان عدنان داوودي ط ٢ ١٤١٨ هـ دار القلم دمشق
٤٢. النهاية في غريب الحديث والأثر نجد الدين أبو السعادات محمد ابن الأثير الجزري تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي دار الفكر.

## فهرس الموضوعات

١٣	مقدمة
١٤	• خطة البحث:
١٥	• موضوع البحث:
١٥	• منهجي في عرض الموضوع
١٦	• أهمية البحث:
١٦	• أهداف البحث
٢٢	• عوامل غرس البر في القلوب
٣٠	الفصل الأول: بر الوالدين
٣٠	المبحث الأول: تعريف البر
٣٠	المبحث الثاني: عناية القرآن الكريم بالوالدين
٣٢	المبحث الثالث: موجبات بر الوالدين
٣٥	الفصل الثاني: أساليب القرآن في الحث على بر الوالدين
٤٥	الفصل الثالث: حقوق الوالدين
٥٩	الفصل الرابع: عرض وتحليل لبعض نصوص القرآن الكريم
٧٤	الفصل الخامس: التحذير من عقوق الوالدين
٨١	الفصل السادس: صور من بر وإحسان السلف
٨٤	خاتمة
٨٦	فهرس المراجع والمصادر
٨٨	فهرس الموضوعات